الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

ملامح من الحياة الاجتماعية والثقافية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية القرن 5ه/ 11م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

* أميرة بوطيب

* لينة رزاق بعرة

إشراف الأستاذ:

* د/ عمار غرايسة

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.عقبة السعيد	استاذ مساعد.أ	ممتحن الأول	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
د.عمار غرايسة	استاذ محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
أ.زيدور حميد	استاذ مساعد.أ	ممتحن الثاني	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

السنة الجامعية: 1441-1442ه/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم {لئن شكرتم لأزيدنكم}

الشكر والحمد الله، جل في علاه، فإليه يُنسب الفضل كله في اكمال- والكمال لله وحده-هذا العمل.

وبعد الحمد الله، فإننا نتقدم بالشكر والعرفان والاحترام الى الأستاذ المشرف الدكتور "عمار غرايسة" على طيب تعامله وتقديم نصائحه وتوجيهاته لنا خلال انجاز هذا البحث، نسأل الله ان ايجازيه عنا كل خير.

والشكر الموصل لكل أساتذة قسم تاريخ بجامعة" الشهيد حمة لخضر"، والى كل زملائنا الذي تقاسمنا معه ذكريات مشوارنا الجامعي.

أميرة و لينة

قائمة المختصرات

الرمز	معناه
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
دت	دون تاريخ نشر
دط	دون طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	صفحات
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ت	توفي

مقدمة

مقدمة:

إن الدارسات المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية، من الدراسات التاريخية التي لم تستوفي حقه من البحث والتقصي، رغم الأهمية البالغة التي تكتسيها هذه المجالات، حيث تعتبر الحالات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات مفتاحا مهما لتفسير الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية، لذلك يتجه الكثير من الباحثين حديثا إلى هذا الإتجاه الغامض نوعا ما من تاريخ المجتمعات والشعوب، ولكن مع قلة اهتمام المؤرخين القدماء بهذا الجانب من التاريخ قد تواجه الباحث في هذا المجال بعض الصعوبات، خاصة إذا تعلق الأمر بمنطقة لم تحظ بالدراسة العلمية والأكاديمية الكافية كمنطقة الزاب.

كان لإقليم الزاب عبر العصور الوسطى، دورا محوريا في مجرى الاحداث في بلاد المغرب، وهذا نظرا لموقعه الاستراتيجي الذي توسط بلاد المغرب ومساحته الشاسعة والتي تتغير حسب الحالة السياسية للمنطقة، بالإضافة الى ما شهدته مدنه من وقائع ومحطات حاسمة اثرت بشكل مباشر وكبير في تاريخ المغرب الأوسط وافريقية، كل هذا وأكثر كان له بالغ الأثر في رسم ملامح المجتمع في بلاد الزاب، من تركيبة اجتماعية الى شكل ثقافي ميزه عن غيره من اقليم بلاد المغرب الإسلامي.

ولهذا ارتأينا ان نسلط الضوء في هذه الدراسة على الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد الزاب، وقد حددنا زمن الدراسة من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس للهجرة، وتعد هذه الفترة التاريخية من تاريخ المغرب الأوسط عامة والزاب خاصة، مخاضا لعديد الاحداث السياسية والدينية، التي اثرت على سمات مجتمع الزاب ثقافيا وفكريا ومذهبيا.

طرح الاشكال:

وتتمحور الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة حول:

مقدمة:

كيف كانت ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد الزاب منذ الفتح الإسلامي والى غاية نهاية القرن5ه/11م؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

– ماهي الحدود الجغرافية لبلاد الزاب؟

– وماهي أبرز التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة خلال الخمس قرون الأولى من الفتح الإسلامي؟

– وكيف أثر هذا الواقع السياسي في التركيبة البشرية لبلاد الزاب؟ وفي التقسيم الطبقي لمجتمع الزاب؟

– بما تميز إقليم الزاب ثقافيا وحضاريا؟

– ومن هم أبرز العلماء الذين انتموا لهذا الاقليم في بلاد المشرق والمغرب؟

أسباب اختيار الموضوع:

–يعود السبب الأول لاختيار هذه الدراسة، هو الرغبة الشخصية للبحث في مجال الاجتماعي والثقافي، لما يحتويه من تفاصيل ممتعة، واهمية في تفسير الكثير من الاحداث التاريخية. لنبحر به في الذكرة الثقافية للحياة اليومية للشعوب.

–المساهمة ولو بالقسط البسيط في الأبحاث المتعلقة بتاريخ اقليم بلاد الزاب، والذي على الرغم من أهميته ولكنه اقل مناطق المغرب الأوسط دراسة.

–الرغبة في التعرف على جغرافية المنطقة، وتسليط الضوء على أبرز التحولات التي اثرت على الحياة الاجتماعية من ناحية تركيبة المجتمع واهم عاداتهم وتقاليدهم. وكيف انعكس ذلك على الواقع الحضري في مدن الزاب.

–ومحاولة فهم ملامح الحركة المذهبية في الإقليم. وما نتج عنه من تصادمات داخل المجتمع.

الدراسات السابقة:

تعتبر دارستنا جديدة ومهمة من حيث كونها الأولى في قسمنا التي تناولت الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد الزاب، اما على المستوى الوطني فمجمل الدراسات السابقة اختصرت ابحاثها في الجانب السياسي والاقتصادي، والنواحي العسكرية.

الخطة:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، ارتأينا تقسيم هذا البحث الى، ثلاث فصول، يسبقهم فصل تمهيدي الذي كان تحت عنوان: الدراسة اللغوية والجغرافية، تطرقنا من خلاله الى تحديد جغرافية بلاد الزاب بالاستعانة أبرز المؤرخين والجغرافيين القدماء بالإضافة الى المدلول اللغوي لمصطلح الزاب، لغة واصطلاحا.

اما الفصل الأولى بعنوان: الواقع السياسي لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى غاية القرن 5هـ/11م. وقد تم في هذا الفصل عرض لمرحلة الفتح الإسلامي للمنطقة، وتغيرها من عصر الخلافة الاموية الى عهد الدولة الأغلبية ثم الدولة الفاطمية، وصولا الى دخول عرب بني هلال لمنطقة الزاب.

وفي الفصل الثاني المعنون بالحياة الاجتماعية في بلاد الزاب. وخصصناه لشرح التركيبة البشرية في الإقليم والتقسيم الطبقي لمجتمع الزاب. بالإضافة لوصف أبرز العادات والتقاليد.

اما الفصل الثالث بعنوان: الحياة الثقافية والواقع الحضري. وقد جاء فيه وصف لاهم المعالم العمرانية على اختلاف انوعه من مساجد وقصور وقلاع ..... الخ لمنطقة الزاب. وتتبعنا فيه حالة الحركة المذهبية في البلاد. وخيرا عرضنا أبرز علماء مدينة طبنة في بلاد المشرق والمغرب.

المنهج المعتمد:

نظرا لطبيعة الموضوع، اعتمدنا على عدة مناهج، اولهم المنهج التاريخي لاستقراء المصادر التاريخية، واستخراج المعلومات، والمنهج السردي من اجل سرد أبرز الاحداث التي عاشتها المنطقة خلال الفترة المدروسة. وكذلك المنهج الوصفي لوصيف الحالة الاجتماعية والثقافية والمعالم العمرانية، بالإضافة للمنهج المقارن الذي اعتمدناه فقط في الفصل التمهيدي من الدراسة للمقارنة بين ما جاءت به المصادر الجغرافية والتاريخية في ما يخص الحدود الجغرافية للبلاد.

الدراسة النقدية للمصادر والمراجع:

المصادر:

المصادر التاريخية:

– كتاب "العبر" لعبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/1405م) وهو من اهم المصادر التاريخية لتاريخ بلاد المغرب، ويعتبر من اهم المصار التي اهتمت بالتاريخ السياسي لبلاد الزاب، واستفدنا منه في الجانب الاجتماعي في التعريف بالقبائل سواء البربرية منها او العربية، وتحديد موقعها في بلاد الزاب.

– كتاب "المجالس والمسايرات" للقاضي نعمان (ت 363هـ/974م) وهو المصدر الوفير بالمعلومات عن الحياة الاجتماعية في العهد الفاطمي، واعتمدنا علية في وصف العادات والتقاليد للمنطقة.

مصادر الرحلات والجغرافية:

– كتاب" البلدان" لليعقوبي (ت284هـ/897م) وهو من أكثر المصار الجغرافية التي وصفت بلاد الزاب، حيث اعتمدنا عليه في تحديد المصطلح الجغرافي للزاب، وكذلك في التركيبة البشرية للمنطقة وتوزّع القبائل فيها.

– كتاب" المسالك والممالك" و" المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" لابي عبيد البكري (ت487هـ/1094م)، اهتم هذا الكتاب بوصف المدن المغاربية عموما وصف دقيقا وممحص، لذلك كان هذا المصدر مفيدا لنا في كل فصول الدراسة، خاصة الجانب الجغرافي والسياسي.

– كتاب" فيض العباب وافاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب" لابن الحاج النميري (ت768هـ/1367م)، وافادنا هذا المصدر كثيرا في وصف الواقع الحضري لمنطقة الزاب بعد دخول عرب بني هلال له.

المراجع:

– كتاب "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الرابع والخامس الهجريين" لجودت عبد الكريم يوسف، واعتمدنا عليه في دراسة وضبط طبقات مجتمع الزاب، حيث يحتوي هذا الكتاب على وصف معمق لحالة المجتمع في بلاد المغرب الأوسط.

بالإضافة لمجموعة من المقالات التي افادتنا في الإحاطة بأهم جوانب الموضوع.

الصعوبات:

وقد واجهتنا خلال انجاز هذا البحث بعض الصعوبات أهمها، ندرة المادة العلمية المتعلقة بإقليم الزاب، خاصة من ناحية العادات والتقاليد والحياة الثقافية، وقد استعنا في هذا الجانب بمصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط بصفة عامة، او تاريخ افريقية، حرصا منا على تغطية كل زوايا البحث.

وفي الأخير لا يسعنا الا ان نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في إتمام هذا البحث وعلى راسهم الأستاذ المشرف *عمار غرايسة* الذي لم يدخر جهدا في ارشادنا وتوجيهنا، وكان لنا خير معين بعد الله عز وجل.

والحمد الله ربي العالمين على التيسير والتوفيق.

الفصل التمهيدي

الدراسة الجغرافية واللغوية

المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي

المبحث الثّاني: المدلول اللغوي

المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي

عبر التاريخ كانت بلاد الزاب الى غاية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ذات تأثير متعدد الجوانب، وكان لها الدور المحوري في التأثير على تطورات الاحداث خاصة في مغرب ما بعد الفتح. اذ شكلت المنطق مسرحا لعديد الاحداث السياسية منها والاقتصادية.[1]

قد يكون من الصعب ان يتم وضع خريطة دقيقة لبلاد الزاب تتوافق والمجال الزمني لبحثنا. وذلك راجع الى التباين والاختلاف بين الجغرافيين والرحالة حول المدن التي تدخل في نطاق بلاد الزاب والى حركية مجال الزاب الذي يتقلص ويتسع حسب مستوى قوة السلطة المشرفة عليه. ولرسم صورة واضحة لحدود ومكونات بلاد الزاب، يتعين علينا جمع اغلب النصوص الجغرافية والتاريخية.

فابن خرداذبة (ت272هـ/885م) يشير في معرض حديثه عن المناطق الخاضعة لسلطة الاغالبة ويطلق وصف مدينة. حيث يذكر مدينة الزاب[2]. وليس واضحاً بالنسبة لنا ان كان يقصد بذلك مدينة بعينها كباقي المدن المعروفة في عموم بلاد المغرب، او انه قد أطلقها لتشمل عموم بلاد الزاب بمختلف أطرافه.

[1] - على الهطاي: "**الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح الى نصف القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي**"، مجلة المواقف للبحوث والدارسات في المجتمع والتاريخ، كلية الادب والفنون والانسانيات، منوبة–تونس، ع12، ديسمبر 2017 ، ص9.

[2] – أبو قاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، دار صادر افست ليدن، بيروت–لبنان، د.ط، 1889، ص 87.

اما اليعقوبي (ت284هـ/897م) فيحدد مجموعة من المدن ضمن بلاد الزاب، وهي باغية[1]، تيجس وبلزمة ونقاوس[2]، سطيف[3] ومقرة[4] وأوْربة (اذنة) وطبنة. وهنا يجعل اليعقوبي من الزاب بلداً واسعاً متعدد الارجاء ولم يحدد الا حدوده الغربية بقوله (مدينة اربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في اخر عمل بني الاغلب، ولم يجاوزها المُسَوّدَهُ)[5].

كذلك المقدسي (ت388هـ/998م) فقد اشترك مع اليعقوبي في ذكر ثلاث مدن طبنة ومقرة واذنة، ليضيف مسيلة التي اعتبرها مدينة الزاب وراس حد افريقية، بادس وبسكرة وتهودة[6]، طولقة، واشير.[7]

[1] – إسحاق ابن جعفر اليعقوبي: **البلدان**، دار الكتب العلمية، ،تح: محمد الامين ضناوي، لبنان–بيروت، د.ط، د.ت، ص190.

[2] – **نقاوس:** تقع في سفوح جبال الأوراس وتحديدا شرق المسيلة وتبعد عنها أربع مراحل، وكذلك شمال شرق مدينة مقرة وتبعد عن بسكرة مرحلتين، ينظر: محمد الادريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، ج1،عالم الكتب، لبنان–بيروت، د.ط، 1990م، ص264.

[3]– **سطيف:** مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من ارض البربر ببلاد المغرب، ينظر: شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3،دار صادر، لبنان_ بيروت، (د.ط)، 1397هـ/1977م، ص220.

[4]– **مقرة:** تقع جنوب نقاوس وهي احدى مدن الزاب الصغيرة بل يعتبرها البعض انها قرية من قرى بلاد الزاب. ينظر: على الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى منتصف القرن 5هـ/11م**، (رسالة ماجستير، جامعة منوبة، تونس،2016/2015م)، ص24.

[5] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص 190.

[6] –**تهودة:** وهي مدينة أولية بنيانها بالحجارة ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه. سكانها العرب وقوم من قريش، ينظر: ابي عبيد البكري: **المسالك والممالك**، تح: ادريان فان ليوفت واندري فيري، ج 2،دار الغرب الإسلامي، د.ط، 1992م، ص741.

[7]– محمد بن احمد المقدسي: **أحسن التقسيم في معارف الإقليم**، ط3، مكتبة مدبولى، القاهرة_ مصر، 1411هـ/1991م، ص57.

و في كتاب صورة الأرض لابن حوقل(ت367هـ/977م) فلم نجد فيه أي تحديد لمدن الزاب، لكنه بالمقابل من ذلك نجد تحديداً واسعاً للطرق الرابطة بين مناطق بلاد المغرب. مما ساعد في معرفة الطرق الرابطة بين بلاد الزاب.[1]

أما خلال العصور الوسطى المتأخرة فإننا نلاحظ تغيراً واضحاً في الخريطة الجغرافية لمنطقة الزاب، فيذكر ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) ان بلاد الزاب الكبير تضم بسكرة وتوزر، قفصة، نفزاوة وبادس[2]، وكذلك ذكر في كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ان الزاب تقع على طرف الصحراء من بلاد الجريد وبها انهار وعيون ومدن كثيرة من أهمها المسيلة[3]، نقاوس وطبنة وبسكرة[4]، تهودة.

بالإضافة إلى كل ذلك فابن خلدون (ت808هـ/1406م) يذكر ان منطقة الزاب شاسعة تمتد من الدوسن[5] بالغرب الى منطقة بادس وتنومة في الشرق ،وهو يضم العديد من المدن والقرى ويُعرف كل واحدة منها بالزاب، وقد ذكر دوسن وطولقة ومليلة، بسكرة وتهودة[6].

وبلاد الجريد تعد تاريخيا ضمن إقليم الزاب الكبير الا ان هذا الرأي غير متفق عليه عند المؤرخين والجغرافيين. فيرى البعض ان بلاد الجريد تابعة لبلاد الزاب منهم ابن حوقل والحموي

---

[1] – ابو القاسم بن حوقل،:**صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت لبنان، 1996م، ص ص 85_87.

[2] – الحموي: المصدر السابق، ج5، ص139.

[3]– **المسيلة:** تقع في بسيط من الأرض استحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ سنة 313هـ/925م، تولى بناها علي بن حمدون بن سماك المعروف بابن الاندلسي ينظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الامصار**، نشر وتعليق د/سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء_ المغرب، 1985م، ص172.

[4] – **بسكرة:** وهي مدينة كبيرة وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص171.

[5]– **الدوسن:** وهي الى الجنوب من مدينة طولقة، وقد تواصل اشعاعها الى أواخر الفترة الوسطية. واعتبرها ابن خلدون من قرى بسكرة، ينظر: على الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى منتصف القرن 5هـ/11م** ، المرجع السابق، ص27.

[6]– ابو زيد ولي الدين عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الاكبر** ،مر: سهيل زكار ،ج6 ،دار الفكر لطباعة، بيروت ،2002، ص585.

"في بلاد الجريد من ارض الزاب الكبير قسطليلة"[1]، وكذلك صاحب الروض المعطاء كما ذكرنا سابقا فهو يعتبر بلاد الجريد ضمن الزاب، وكانت تتبع عمل افريقية[2].

في حين يرى القسم الأخر ان بلاد الجريد خارج نطاق بلاد الزاب مثل، عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1250م) "وأرسل الى بلاد الجريد وهي توزر قفصة ونفطة والحامة"[3] و" ومن مدينة قفصة الى مدينة توزر أربعة مراحل وتوزر هذه هي حاضرة بلاد الجريد وأُم قُراها وبلاد الجريد التي يقع عليها هذا الاسم تنقسم قسمين قسم يسمى قسطليلة وهذا الاسم يقع على توزر واعمالها"[4]. ويوفقه في هذا الوزان الفاسي الذي يحدد بلاد الجريد خارج الزاب فيبدأ هذا الإقليم من حدود بسكرة الشرقية الى حدود جزيرة جربة.[5]

ومنه نستنتج ان بلاد الجريد خارج نطاق الزاب اذ كان المقصود بذلك منطقة بسكرة وقراها. وتقع داخل نطاق الزاب إذا تحدثنا عن الزاب الأكبر.

كما ظهر اختلاف اخر بين الجغرافيين في تقسيم بلاد الزاب، خلال فترة العصور الوسطى، نظرا لتغيرات التاريخية التي تأثر على ملامح المجال الجغرافي. فقد قسمت منطقة الزاب في البداية الى قسمين وهما الزاب الأعلى ويضم منطقة الحضنة والزاب الأدنى ويضم بسكرة والمدن المجاورة لها. ثم خلال عصر ابن خلدون وان كان متأخر عن مجال دراستنا. فقد حدد مجال الزاب ثلاث مناطق وهي: الزاب الغربي ويقع حول طولقة[6]، ثم الزاب الأوسط ويشمل مدينة

---

[1]– الحموي: المصدر السابق، ج4، ص384.

[2]– محمد عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: احسان عباس، ج1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت_ لبنان،1984، ص281.

[3]– عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، ج1، ط1،المكتبة العصرية، بيروت_ لبنان، 2006م، ص66.

[4] – المرجع نفسه، ص104.

[5]– على الهطاي: المرجع السابق ، ص18.

[6]– **طولقة:** تقع غربي بسكرة، تعد ضمن إقليم الزاب، وهي ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخنادق وحوله انهار، ينظر: البكري: المصدر السابق، ص 740.

بسكرة وأخيرا الزاب الشرقي الذي يضم مدينة بادس[1] والقرى المحيطة بها. وهذا ما يفسر اعتماد المؤرخين على لفظ "الزيبان" بدل "الزاب".[2]

وذا اعتبرنا ان بسكرة هي عاصمة الزاب، ويمكننا تقسيم الزاب الى منطقتين، منطقة الزاب الغربي ومنطقة الزاب الشرقي.

منطقة الزاب الغربي: وهي تضم مسيلة، نقاوس ومقرة وطبنة وطولقة.

منطقة الزاب الشرقي: وتشمل بسكرة تهودة، بادس وتنومة.[3]

المبحث الثاني: المدلول اللغوي

أ- **لغة:**

ترد مجموعة من التعاريف عن اهل اللغة، فهي عند ابن المنظور" زاب" زأب القربة يزأبها زأبا.

وزدأبها حملها واقبل بها سريع وزأب الرجل شرب شرابا شديد.[4] والزآنب القوارير، وعام أزب مخصب.[5]

---

[1]- **بادس:** بكسر الدال المهملة وسين غير معجمة، اسم لموضعين أحدهم موضع فاس أي بادس فاس، وثانيها بادس الزاب وهي من المدن التي شكلت نوعا من الحصون، ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص317.

[2]- على الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى منتصف القرن 5هـ/11م**، المرجع السابق ، ص19.

[3] - على الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى منتصف القرن 5هـ/11م**، المرجع السابق ، ص ص -21-20(28**للمزيد ينظر الملحق رقم 1، ص66)** .

[4]- ابن المنظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله على لكبير واخرون، ج1، د.ط، دار المعارف، القاهرة_ مصر، د.ت، ص443.

[5] – محمد بن يعقوب بن فيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، ج1، د.ط، ،دار الحديث، مصر، 1429هـ/2008م، ص77.

والازدئاب: الاحتمال وكل ما حملته بشدة فقد زأبته.زاب بالجملة: جره، وزأب الرجل وازدأب إذا حمل ملا يطيق.[1]

والزاب بعد الألف باء موحدة، إذا جعلناه عربيا او حكمنا عليه بحكمه، زاب الشيء اذ جرى، وزأب يزاب اذ انسل هربا.[2]

وزاى: اذ تكبر زبى، الزيبة التي لا يعلوها الماء، جمع زبى، والزبية حفرة: يتزبى فيها الرجل الصيد للصيد.[3]

ويتضح مما سبق ان المعنى اللغوي لكلمة "زاب" يدور في فلك: الماء، الحفرة، السرعة، فالزاب قد يكون المكان المرتفع الذي يسيل منه الماء بسرعة، او ان الزاب يعني تلك المناطق المحصورة بين الاودية والانهار والتي تشكل الروافد.[4]

ب: اصطلاحا:

يذكر ابن خرداذبة التسمية بالفارسية "كورة استان به ذيوما سفان" ثم حولها إلى العربية بمعنى الزوابي الثلاثة نواحي، الزاب الأعلى والزاب الأوسط والزاب الأسفل.[5]

[1] – ابن المنظور: المصدر السابق، ج14، ص353.

[2] – الحموي: المصدر السابق، ج3، ص138.

[3] – محمد مرتضى الحسني الزبيدي: **تاج العروس من جوهر القاموس**، تح: التوزي وآخرون، ج3، ط2، منشورات المجلس الوطني لثقافة والفنون والادب، الكويت، 1395هـ/1975م، ص1.

[4]– أسامة الطيب جعيل: " **حواضر إقليم الزاب الكبرى في العصر الحديث من خلال كتب الجغرافيا البلدانية** ، مجلة مدارات تاريخية، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ع 1، مج 1، مارس 2019، ص339.

[5] – ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص20.

اما الحموي فينسبه إلى ملك فارسي وينعته بزاب بن تركمان بن من وشهر بن ايرج بن افريدون وقد نسب له حفر انهار في العرق التي اخذت تسميتها من اسمه.[1]

كما يذكر الحميري الزاب على انه المدينة النعمانية، وفيها ديرهرقل وهي أهلة عامرة بالسكان ذات بساتين وعمارة وهي بين المدائن وواسط.[2] اما صاحب الاستبصار يذكر ان الزاب منطقة في أطراف الصحراء سميت بلاد الجريد من عمل افريقية في حر هوائها وكثرة نخيلها وعمائرها متصلة، كثيرة المياه، ومنها المسيلة ونقاوس، وطبنة وبسكرة وتهودة.[3]

ثم بينت الدارسات الحديثة ان اسم الزاب مشتق من مدينة ازبي جستتيانا البيزنطية التي كانت تاريخيا تمثل نوميدية وتتبع الحكم الروماني حيث كانت مركزا للفرقة الرومانية الثالثة. وتتميز بكثرة حصونها. وقد كانت منطقة استراتيجية لامتدادها على منطقة الواحات الواقعة جنوب الاوراس وبالتالي مثلت حلقة وصل بين منطقة التل بالشمال والصحراء الكبرى بالجنوب.[4]

ومما سبق نجد ان تسمية الزاب قد اشتركت فيها مناطق مختلفة بين المشرق والمغرب، فكيف انتقل هذا المصطلح من المشرق الى المغرب او العكس؟

ولعل السبب، يعود الى التاريخ المشترك بين الفرس والروم في المشرق، والذي طبعته أساسا الحروب التي دامت قرونا، يمكن هنا طرح فكرة التمازج اللغوي. فالتأثير الاجتماعي والثقافي لا يعترف بالحدود والحروب.[5]

---

[1]– الحموي: المصدر السابق، ص123.

[2] – الحميري: المصدر السابق، ص281.

[3]– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص171.

[4]– على الهطاي: **الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح الى نصف القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي** المرجع السابق ، ص11.

[5] – صورية مديازة: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى غاية انتقال الفاطميين الى مصر(21-362هـ/626-972م)**، (رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، 2010/2009م)، ص5.

وعلى كل حال فقد تغيرت أسماء مناطق كثيرة وحورة أخرى في بلاد المغرب عموما، ومنها ما يخص بلاد الزاب حيث اختفى لفظ نوميدية وحل محله الزاب. وهذا ناتج عن نجاح عملية التعريب إذ بدأت الجماعات المحلية بالانصهار في المرحلة الجديدة التي أسست لميلاد الزاب الإسلامي.

الفصل الأوّل

الواقع السياسي لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول الهلاليين

المبحث الأوّل: الفتح الإسلامي لبلاد الزاب

المبحث الثّاني: بلاد الزاب من عصر الولاة الى عهد الأغالبة

المبحث الثّالث: بلاد الزاب من عهد الدولة الفاطمية إلى غاية دخول الهلاليين

المبحث الأول :الفتح الإسلامي لبلاد الزاب

أثناء الفتح الاسلامي اعتبر المسلمون ولفترة الطويلة شمال افريقية ثغرا وبلد حرب يوجهون اليه حملات خاطفة ومقتطعة تكتفي بالتجوال وجمع الغنائم ثم الانسحاب الى مصر، وقد بدأت بعد فتح مصر وخاصة الاسكندرية سنة 21هـ/642م وعندما فكر المسلمون الإستقرار في المنطقة واتخاذ مقرات دائمة وثابتة، أصبح مشروع إدخالها في أرض الاسلام لازم.

في سنة 50هـ/671م قاد "**عقبة ابن نافع**"[1] حملة إلى إفريقية ،منطلقا من برقة إلا أن وصل وتمكن من بناء أول نقطة ارتكاز للمسلمين في المنطقة وهي القيروان وجعلها قاعدة للفتوحات ببلاد المغرب ، يقول ابن عبد الحكم: "ثم انصرف للقيروان ... ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى قيروان اليوم، وركز رمحه وقال هذا قيروانكم. "[2]

حيث أنه بعد ما كان متنقلا بين الواحات إلا أن وصل إلى إفريقية، فاتجه رأسا إلى الموضع الذي كان " **معاوية بن حديج**"[3] قد عسكر فيه قبله، فوقع اختياره عليه ليقيم فيه المدينة التي كان قد عزم على بناءها ،لأنه كان يقدر أهمية إقامة مدينة للمسلمين في افريقية[4] .

---

[1] - عقبة بن نافع :بن قيس بن لقبط بن عمر بن أمي بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي ولد على عهد النبي، ابن خالة عمر بن العاص، ولاه عمر بن العاص على افريقية، ينظر : شمس الدين الذهبي : **سير اعلام النبلاء**، ج3، ط1، تح :شعيب الارناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ص532.

[2]– ابن عبد الحكم : **فتوح مصر والمغرب**، تح:علي محمد عمر، (د.ط) ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، 1425هـ /2004م، ص224.

[3] – معاوية بن حديج :هو معاوية بن حديج الكندي من أصحاب رسول الله غزا افريقية بعد ما خرج من مصر سنة خمسة وأربعين ومعه عبد الله بن عمر وغيره من التابعين، ينظر :شمس الدين الذهبي: المرجع السابق، ج4، ص540.

[4] – حسين مؤنس : **فتح العرب للمغرب** ، (د.ط) ، مكتبة الثقافة الدينية ، د س ، ص139.

لكنه لم يكمل فتوحاته ليتولى من بعده" **أبو مهاجر دينار**" (55هـ-62هـ/675م-682م) الذي اتمام عمليات الفتح فقد توجه نحو المغرب الأوسط ، بعد ما عزل عقبة بن نافع سنة 51هـ عزله مسلمة بن مخلد الأنصاري ،و هو يومئذ والي البلاد من قبل معاوية بن سفيان[1].

واصل " **أبو المهاجر دينار**" الفتح حتى وصل إلى جبال الأوراس وبلغ مدينة ميلة وهي أحدى قرى الزاب [2]، أي أنه أول من فتح بلاد الزاب خلال فترة الفتوحات الإسلامية، وقد افتتح في حملاته مدينة تلمسان التي واجه فيها كسيلة زعيم قبيلة **أوربة** البربرية .

يقول **ابن خلدون:** "وزحف إليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم واستبقاه "[3] ، دليل على وصول الفتوحات إلى غاية تلمسان .

لتأتي فيما بعد حملة عقبة الثانية سنة 62هـ/681م حين وصل القيروان مجددا، من ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة **باغاية** ،وكان فيها من الروم الأعداد الكثيرة فقاتلهم قتالا شديد وغنم منهم غنائم كثيرة، فكره المقام فيها وواصل فسار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها أربة[4].

---

[1]- ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ص224.

[2]- شمس الدين الذهبي : **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد معاوية بن أبي سفيان، حوادث ووفيات (41هـ-60هـ)**، تح :عمر عبد السلام تدمري ، ط1،دارا لكتاب العربي، بيروت، 1409هـ/1989م، ص166.

[3] - ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص145.

[4] - ابن الأثير الجزري (ت630هـ): **الكامل في التاريخ**، تح :أبي الفداء عبدالله القاضي، ط1 ، مج 3،دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1407هـ/1987م ، ص451.

ويبدو أن اسم مدينة **أربة** أصلها **أذنة**، وقد أرشدنا البكري أن **أذنة** تقع على بعد مرحلتين من طبنة ،وبعد مرحلة من المسيلة ، وهو ما يعني مروره بمدينة **باغاية** وقد إنتهت حملته إلى لواته ومزاته، وهي من القبائل المتمركزة ببلاد الزاب[1] .

ولقد واصل فتوحاته الى المغرب الاقصى ونزل تيهرت، ثم رجع الى مدينة طبنة حيث أمر اصحابه أن يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من العدو وأنه لم يبق أحد يخشاه ثم بقي في قلة مع جنده وسار إلى **تهوذا**[2] ،التي تقع جنوب بسكرة والتي دارت بها الموقعة الأخيرة بين جيش عقبة والبربر وأدت الى مقتله سنة 63هـ/683م [3].

اخضاع بلاد الزاب لسلطة العرب :

لقد كانت حملة "**حسان بن نعمان**" (73هـ/693م)[4]، متممة لمكاسب الفاتحين من قبله حيث نجح في افتكاك قرطاج من البيزنطيين 74هـ/693م ،وواصل مسيراته في الفتح إلى الأوراس حينها التقى بالكاهنة ملكة البربر ،وقد جلبت جل إفريقية انذاك، فلقيها على نهر يسمى **نهر البلاء** ،فاقتتلوا قتالا شديدا وهزمته[5]، ثم رجع إلى برقة فنزل بها وفيه من القصور كثير ولقد سميت قصور حسان .

[1] – علي الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى القرن 5 هـ / 11** م المرجع السابق، ص.48

[2] – ابن الأثير: المصدر السابق، ص451.

[3] – المرجع نفسه ، ص 452.

[4] – **حسان بن نعمان** :ابن المنذر الغساني من ملوك العرب ،ولي المغرب فهذبها وعمرها، له عدة غزوات مشهودة، ينظر شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج4، ص140.

[5] – ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص 229.

رجع حسان ليغزوا الكاهنة مرة ثانية فقتلها وغنم مغانم كثيرة وسبا من البربر[1] سنة 81هـ/700م بمدينة باغاية، أحد مدن الزاب لتدخل فيما بعد العناصر البربرية إلى الإسلام وانتهاء السلطة البيزنطية على إفريقية و إنضمام الأخيرة ضمن المشرق الاسلامي[2]

المبحث الثاني :بلاد الزاب من عصر الولاة إلى عهد الأغالبة

أولا : عصر الولاة

عصر الولاة نقصد به الفترة الزمنية التي اعقبت استدعاء الخليفة الأموي" **الوليد بن عبد الملك** " (86_96هـ/705_715م) **لموسى بن نصير**[3] ، من بلاد المغرب والأندلس سنة 96هـ/715م حتى قيام أول دولة مستقلة عن السلطة المركزية في المنطقة [4]،أي الفترة الزمنية منذ الفتح الإسلامي إلى غاية قيام الدولة الأغلبية .

تميزت السياسة العامة للولاة الأمويين بسيطرة العنصر العربي واهتمامهم به بالمقابل تهميش العنصر البربري، بل كانوا معهم قاسيين فتذكر المصادر عن قساوة موسى بن نصير اتجاه البربر فكان يتبعهم وقاتلهم قتالا شديدا وسبى منهم سبا كثيرة[5].

---

[1] - ابي العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري: **فتوح البلدان**، تح:عبد الله أنيس الطباع،(د.ط)، مؤسسة المعارف، بيروت – لبنان، (د.ت)ص321.

[2] – هشام جعيط: **تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ /السابع والثامن م**، ط1،دار الطليعة، بيروت، 2004م، ص33.

[3] – موسى بن نصير: التابعي المعروف عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي ولد سنة 19هـ/640م وتوفي سنة 98هـ/716م تولى حكم المغرب سنة 86هـ / على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، وكانت سياسته متممة للسياسة التي بدأها أبو مهاجر دينار، ينظر: الرقيق القيرواني: **تاريخ افريقية والمغرب**، تح : محمد زينهم محمد،(د.ط)، (د.د)، (د.ت)، ص51 .

[4]– مجهول: **تجاوزات الولاة في بلاد المغرب**،،(د.ط)، (د.د)، (د.ت)، ص63.

[5] – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص52.

خلال عصر الولاة تحولت مركز ثقل بلاد الزاب من العاصمة القديمة سرتا (قسنطينة) إلى قاعدتها الجديدة الممثلة في طبنة الزاب [1].

لقد فرض الولاة الأمويين على البربر قوانين قاسية، أين فرضوا عليهم نظاما جبائيا كان عاتيا نوعا ما، فبرغم أن الخلافة الأموية هي أول من نشر الإسلام في ربوع المغرب وجاءت ممثلة لأهل السنة والجماعة، إلا أنها في حقيقة الأمر ابتعدت عن مبادئ الفكر الإسلامي، مما أدى إلى خروج البربر عن السلطة في ولاية **عبد الله ابن الحبحاب** بقيادة **ميسرة المطغري** سنة 122هـ/740م التي كانت أول فتنة بأفريقية بالإسلام[2] .

ثورة الخوارج الصفرية بالزاب 124هـ/742م :

هي ثورة بسبب أن **عبدالله المرادي** عامل طنجة و ما والاها أساء السيرة وتعدى على الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله فكانت فعلته الذميمة هذه سبب في اشعال الفتن، ففي سنة 122هـ/740م كانت ثورة البربر بالمغرب فخرج **ميسرة المطغري** وقام على **عبدالله المرادي** وقتله وكانت وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وظهر في المغرب الأوسط حينذ دعوة الخوارج الصفرية بين البربر[3].

في عهد **كلثوم بن عياض** انتشرت عدة تحركات بربرية كردة فعل على سياسة الولاة وكان أساسها الفكر الخارجي من الصفرية، فلقد عمل الخوارج على نشر أفكارهم بين البربر فلقي إقبالا كبيرا بمعارضة الأمويين ، وعبر **ابن خلدون** عن ذلك بقوله: "ثم نبضت فيهم عروق

[1] - **ينظر الملحق رقم 02 ص66.**

[2] - علي الهطاي: **من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11**، المرجع السابق، ص58.

[3] – ابن عذاري المراكشي : **البيان المغرب في ا اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**،(د.ط)، (د.د)، (د.ت)، ص82.

الخارجية فدا نوابها ... إلى أن رسخت فيهم عروق من غرائسها، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب " [1].

و أندلعت حركة بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهواري الذي مثل الصفرية عن العرب الأمويين ولقد التحق به جموع جيش **عكاشة بن أيوب الفزاري** بعد هزيمته في قابس ،هذا ما يوحي إلى تنظيم الجيوش البربرية وفاعليتها في منطقة الزاب .[2]

يقول ابن خلدون: "فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر " فمنطقة هوارة الممتدة من الزاب التي كان لها دور كبير في الثورة على الولاة [3].

تكمن أهمية هذه المعارك ببلاد الزاب من خلال حديث **الليث بن سعد:** "ما من غزوة كنت أحب ان اشهدها بعد غزوة بدر أحب اليمن غزوة القرن والأصنام[4]".

دخلت الزاب في مرحلة غموض ما بين سنوات (126-129هـ/743-746م) تمكن خلالها **عبد الرحمن بن الحبيب الفهري** من الإستيلاء على ولاية المغرب من يد حنظلة اخر ولاة بني أمية الفعليين على بلاد المغرب الاسلامي[5].

وبعد سقوط الدولة الأموية سنة132هـ/750م على يد العباسيين إلا أنه لو يوقف من ثورات البربر سواء بصفة مستقلة أو تحت لواء الخوارج من الصفرية والإباضية وكانت بلاد

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144.

[2]- علي الهطاي: **من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11**، المرجع السابق، ص60.

[3] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص145.

[4] –**غزوة القرن والأصنام** : هي حرب بين جيش عكاشة الصفري وجيش حنظلة بن صفوان أمير افريقية 119هـ شهدت قتالا شديد انهزم فيها عكاشة وقتل من البربر عدد لا يحصى ، ينظر: ابن عذاري : المصدر السابق، ص90.

[5]– الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص72.

الزاب باعتبارها موطن البربر مسرحا لتحركاتهم، ذلك أنها أصبحت العمود الفقري للمقاومة البربرية الخارجية[1] .

ثانيا : عهد الدولة الأغلبية

لقد شهدت منطقة الزاب تحولا كبيرا سمحت **لإبراهيم بن الأغلب** من جعل بلاد الزاب نقطة ارتكاز بتشكيل خط أمامي حصين ووقائي ممثلة في طبنة الزاب، أدى في النهاية إلى تربع الزاب على أهمية كبيرة ومكانة مرموقة لدى الأغالبة، ستمكنهم في الأخير من الحفاظ على قوتهم السياسة بالمنطقة .حيث أنه عندما كان والي على **الزاب وطبنة** قام بالمدافعة عن والي افريقية **محمد بن مقاتل العكي** (181-184هـ/797-800م)ومساندته ضد الثائرين عليه، يقول ابن خلدون: "وبلغ إلى إبراهيم بن الأغلب بمكانه من الزاب فانتفض لمحمد وسار بمجموعه إلى القيروان. "[2]

و كانت بلاد الزاب في عهد الأغالبة إقليما قائما مع بقائه تابعا لوالي افريقية على المستوى النظري .

كما شهدت بلاد الزاب توسعها في عهد هذه الدولة ، فقد احكموا سيطرتهم على الزاب من كافة الجهات وتم ضبطها ليضمن الأغالبة استقرار افريقية خاصة، كون أن بلاد الزاب تمثل الحد الفاصل بين الرستميين[3] .

---

[1] – هشام جعيط: المرجع السابق، ص179.

[2]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص250.

[3] – علي الهطاي: **من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11**، المرجع السابق، ص ص42-47.(**للمزيد ينظر الملحق: رقم 3 ص 67)**

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن بلاد الزاب كانت تنعم بالإستقرار والأمن خلال حكم الأغالبة، فأضحت هذه الربوع منطقة رخاء وفضاء لعبور القوافل التجارة والرحالة من الغرب الى الشرق خاصة بعد نمو التجارة الصحراوية من بلاد السودان .

بعدها تدخل البلاد في صراعات بين السلطة وأهل المنطقة ففي عهد إبراهيم الثاني (261-289هـ/875-902م)حدث صراعات بين السلطة الأغلبية وأهل الزاب، ففي سنة 268هـ/881م بسبب المجاعة والجفاف التي شهدته المنطقة فلقد امتنع الأهالي عن دفع الضرائب ليصدموا مع السلطة الأغلبية فلقد كان إبراهيم الثاني متشددا في مسألة الجباية، وفي سنة 280هـ/893م أوقع إبراهيم بأهل حصن بلزمة

تواصلت الإضطرابات وبدأت تظهر علامات الضعف تسري في الدولة الأغلبية وهو الأمر الذي يسر الدعوة الشيعية في كيفية ظهورها فلقد انتشرت من مهد الدولة الأغلبية [1] .

[1] - ابن عذاري : المصدر السابق، ص ص71-75.

المبحث الثالث: بلاد الزاب من عهد الدولة الفاطمية إلى غاية دخول الهلاليين

أولا : عهد الدولة الفاطمية:

قامت الدعوة الشيعية في المشرق وعملت جاهدة لتأسيس الخلافة العلوية في الشام إلا أن العباسيين قاموا بتضييق عليهم ،وأدى ذلك إلى مغادرتهم ومواصلة جهودهم في بلاد المغرب في شمال افريقية ،ولعلا من أبرز العوامل التي دفعتهم إلى اتخاذ شمال افريقية مقرا لهم :

- ✓ بعد بلاد المغرب عن السلطة المركزية في بغداد ،مما يجعل من الصعب على العباسيين تعقب العلويين .
- ✓ كون افريقية لم تكن مرتبطة بالأمويين ولا العباسيين ارتباطا شديدا ،بل كانت كثيرة الثورات والقلاقل .
- ✓ الدولة العباسية في أواخر عهدها كانت ضعيفة آنذاك وعاجزة عن إصلاح شؤون البلاد[1].

[1] – عبد الحميد حسن حمودة :**تاريخ المغرب في العصر الاسلامي منذ الفتح الاسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ،ط1، 2007،ص383

قد نشأت الدعوة الفاطمية تحديدا في منطقة الزاب وذلك من خلال **أبو عبد الله الصنعاني**[1]، الذي وصل إلى المغرب والى قبيلة كتامة وأخذ بنشر المذهب الشيعي وسط قبائل برب كتامة .

وكان له ذلك فما لبث حتى التفت حوله وجوه كتامة[2].

كان وصول الداعي أبي عبد الله إلى كتامة يوم خميس النصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين [3] ،كانت رغبة الدعاة الشيعيين في اختيارهم قبائل كتامة ،كون هذه الأخيرة بحاجة إلى دعوة يجتمعون حولها لمجابهة قوة الزناتيين ،ومن أجل هدف أكبر هو الاستقلال عن الخلافة في المشرق وتأسيس دولة خاصة بهم .

وتتضح حقيقة أن المغرب كانت أرض صالحة لبذر بذور الدعوات المناهضة خلافة كما كان ملجأ امن لكل الخارجين على الدولة سواء كانوا من الخوارج أو من الشيعة[4].

وبعد ما أخذت الوفود بالقدوم على أبو عبدالله بدأت شهرته تتسع ،ظهرت هناك معارضة داخلية من قبل بعض زعماء القبائل الذين شعروا بالقلق على مصير زعماتهم ونفوذهم ومن

---

[1] – اسمه أبو عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد ببلاد الشام سنة 620،كان يعمل محتسبا ويعرف ايضا بالشيعي أول من أدخل المذهب الشيعي اختلف الناس في نسبه الى الحسين عليه السلام ،انظر :ابن حماد : **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ،تح :التهامي نقرة،عبد الحليم عويس،)،(د.ط)، ، دار الصحوة ،القاهرة ،ص35.

[2] – ادريس عماد الدين (872هـ/1488م): **تاريخ الخلفاء الفاطميين القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار** ،تح :محمد اليعلاوي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1985،ص88.

[3] – القاضي النعمان : **افتتاح الدعوة** ،تح : فرحات الدشراوي ، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص47.

[4] – سعد زغلول عبد الحميد : **تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين**، المعارف بالإسكندرية ، ج 2،د.ط ،د.ت ،ص533.

جهة أخرى أن ماجاء به أبو عبدالله من تغيير في النظام السياسي والقبلي بين مختلف القبائل .بجعل سلطة الحكم تحكم أكثر من قبيلة[1].

وكانت حركة الوفود المعارضة مقتصرة أغلب أجانة وعثمان ومسالته وجيمله بينما بقيت فروع متوسة ولطانة وملوزة ولهيصة ولوزة ،واقليات اخرى من جميلة وأجانة ومسالته خارج اطار الحركة[2].

وقد اجتمعوا لإنهاء أمر أبي عبدا لله الشيعي ،بأن طلبوا منه إقامة مناظرة مزعومة دينية بينهم ،وقد اجمعوا أمرهم أن يمكروا به ،ولم يتمكنوا من ذلك[3].

غادر الداعي أبو عبد الله إلى تازروت [4]،ومن معهم من المناصرين له وتمركزوا بها وقد اتخذ لها سورا وبنى فيها مقرا دائما له ،وهو الذي أحاط بخندق عند بدءا لحرب مع المعارضين ،وعمل على تنظيم القبائل المؤيدة له في مضاربها حيث قسمها إلى سبعة أقسام تباركا بالعدد، وإشارة إلى العقيدة الاسماعلية أو السبعية[5].

ارتفعت وتيرة الصراع لتصبح أشد حيث عمل قادة المعارضة على تجميع كل طقاتهم ومحاصرة أبو عبدالله والمؤمنين من معه ،لقد اجتمع عمال ميلة وسطيف وبلزمة بعسكرهم ،وأجانة ولطاية ،وجميع من يلي ميلة وكذا سطيف ومزاته على حصار تازروت ،لكن جيش ابي

[1]– القاضي النعمان : المصدر السابق ،ص94.

[2] – موسى لقبال : **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس هجري (11م)** د.ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1979،ص247.

[3]– ادريس عماد الدين : المرجع السابق ،ص99.

[4] – موسى لقبال : المرجع السابق ،ص257.

[5] – المرجع نفسه ،ص252.

عبدالله تمكن من هزيمتهم بعد أن واجه كل لعامله في مجموعة على حدا كونهم لم يكونوا متحدين .[1]

ليتولى فيما بعد على عامة بلد كتامة ،وظهرت دعاته في كل ناحية ، وغلب أمره عليها واستحكم فيها ولم يبقى فيها إلا من كان معه ودخل في دعوته[2] ،لتصبح المنطقة أمنة بل خالصة لرجال الدعوة لاينازعهم في السيطرة عليها غير عمال المدن الكبرى وأمراء بني الأغلب.[3]

اتسع نطاق دعوة **أبي عبدالله الشيعي** وتكاثر عدد انصاره وشيعته في المقابل كان الأمير ابراهيم الثاني الذي سمع لعامله في مدينة ميلى الذي هون عليه امر أبي عبدالله ،ليستفيق فيما بعد بخطورة الموقف ،حيث توارت عليه أنباء اتساع دعوة أبي عبدالله ،وما ان خرج ابراهيم بن أحمد الى صقلية وأوصى ابنه أن لا يحاربه وأن يلحق به اذا اتجه له ،لكن بعد دخول أبي عبدالله الشيعي ميلة[4]لم يستطع الوقوف مكتوف الأيدي فوجه اليه عساكره في حملتين سنة 289هـ/901م لكنه انهزم فيها وتمكن **أبي عبدالله** من ضم ميلة إضافة إلى ذلك سطيف سنة293هـ/903م الذي كانت تعرقل تحركاته ،وتمثل قاعدة لقوات العدو ، فشن عليها **أبو عبدالله** هجوم حين كان صاحب سطيف **علي بن حفص** وأخوه **أبو الحبيب يضمران** للداعي حقدا دفينا ،فحاصر المدينة مدة أربعين يوم اظهرت خلالها مقاومة مستميتة ليرفع الحصار

[1]– القاضي النعمان ،المصدر السابق ،ص99.

[2] – نفسه ،ص 116.

[3] – موسى لقبال : المرجع السابق ،ص257.

[4]– المرجع نفسه .

عليها ،وما ان رجع مرة اخرى بعد ما جمع عساكر لا تحصى عددها وأحاط بها وقاتل علي بن الحف صالا أن ماتا ، انحل امر سطيف بعدها [1].

فتح بعدها **ابو عبدالله** مدينتي طبنة وبلزمة ،وانتصر على الجيش الأغلبي في موقعة (دار الملول) .

بعد الأحداث الذي عاشها الداعية أبو عبدالله الشيعي، بافتكاكه لمدن الزاب واحتوائه القبائل البربرية ،فلقد استطاع ضم الزاب الى جانبه لتزداد قوته وليصل الى القيروان ويهزم اخر أمراء بني الأغلب زيادة الله الثالث الذي هرب الى دمشق ليستقر أبو عبدالله في رقادة ،منذ دخوله اليها يوم السبت 1رجب 296هـ/909م[2].

بعد ما استقر الفاطميون في افريقية قرروا تأسيس عاصمة جديدة لبلاد الزاب تكون خلفا لمدينة طبنة ،وقد انشؤوا مدينة المسيلة غرب الزاب لمواجهة الزناتيين والحد من توسعهم وجانب، أخر اقتصادي تأمين المسلك التجاري الذي يبدأ من سجلماسة الى القيروان ،لأن المسلك الصحراوي الجنوبي سادته اضطرابات الزناتية ،[3] اختطها ابو القاسم بن عبيد الله المهدي وسماها بالمحمدية ،ثم أولى على الزاب الفاطمي أبا الحسن عليا بن حمدون فاتخذ مركز اداراته المسيلة واصبحت بذلك عاصمة اسلامية كبرى ذات عمران متسع ومدينة شامخة ،الى أن قضى عليها بلكين بن زيري بن مناد سنة (362هـ/972م).[4]

---

[1] - فرحات الداشراوي : المرجع السابق ،ص129

[2] – ادريس عماد الدين : المرجع السابق ،ص136–ص138.

[3] – ابي عبد الله محمد بن علي بن حماد : **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ،تح :التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ،دار الصحوة ،القاهرة ،ص45–46.

[4] - بشير مبارك :" **العنصر العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد خلال العصر الوسيط ،قراءة في الأدوار والتأثيرات** " ،مجلة البحوث والدراسات الانسانية ،ع 13،الجزائر ،2006،ص19–20. **(للمزيد ينظر الملحق رقم 4 ص 68)**

كانت سياسة الفاطميين بالزاب تكمن في السيطرة المتواصلة على القبائل البربرية من خلال تعزيز سلطة صاحب الزاب علي بن حمدون ،وبسبب استعمالهم العنف المفرط ضد الثوار من الزاب وكامل بلاد المغرب مما ادى الى القيام ضدهم ،حيث قام محمد بن خزر بهجوم على طبنة سنة 297هـ/309م،واستيلاءه بشكل كامل سنة 314هـ/926م،وتمكنوا من ارجاعها سنة 315هـ/927م [1]،بعدما أعلنت خلافة **أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي** بالبيعة له في 322هـ/934م الذي عرف بتشدده في إتباع الساسة الدينية.

إن من اكبر الثورات التي شهدها ،والتي شكلت خطر حقيقيا على كيان الدولة الفاطمية ثورة **أبي يزيد بن مخلد بن كيداد** الزناتي[2] ، التي شغلت عصر القائم بالله كله وعامين من عهد المنصور أي انها استغرقت نحو 14 سنة[3] .

كان **أبو كيداد** من أهل قسطيلية من مدائن بلد توزر[4] ،خالط النكارية من الخوارج الصفرية ثم سافر الى تيهارت واقام بها يعلم الصبيان ،كان يذهب الى تكبير ملته واستباحة الاموال والدماء والخروج عن السلطان[5].

ذاع صيته وزادت شوكته وكثر اتباعه، في أيام **القائم بأمر الله** ،خرج إلى جبال الأوراس ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني أمية فاتبعه أمم من البربر وانتشرت دعوته في نفوسة وهوارة والزاب والمغرب الأقصى .

[1] – فرحات الداشراوي : المرجع السابق ،ص220.

[2]– صاحب الحمار وهو الخارج عن الشيعة سنة 302،اخذ العلم عن الشيوخ في توزر ودرس المذاهب الاباضية ابن حماد ،المصدر السابق ،ص42 .

[3] – عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص536.

[4] – ابن خلدون : المصدر السابق ،ج4،ص52.

[5] – سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،ج3،ص109.

اجتاح بلاد الزاب أذ حاصر باغاية تاركا ولائه بني زناتة على حصارها متجها إلى تبسة ففتحها صلحا ثم مجانة حيث هدم سورها ،واستولى على مرماجنة ، هذا وقد انطلقت تحركاته مع الزناتيين سنة 332هـ/944م لمدة زمنية دامت إلى حين وفاة القائم وتولى المنصور للخلافة 334هـ/946م الذي اخذ على عاتقه استئناف المقاومة اذ انه قد فك الحصار على المهدية وبقي معه الا طوائف من هوارة وزناتة[1].

استطاع **أبو يزيد بن كيداد** الهرب إلى بسكرة، بعد ما ظن أنه تخلص من جيش المنصور، لكنه يبدوا أن الأخير ظل يلاحقه وقطع عليه المؤونة التي كانت تصله وظل يحاصره بمساعدة بعض القبائل مثل **بني كملان وهوارة** ،وهو ما أضعف شوكت **بن كيداد** المتحصن بجبل كيانة، وعجل بانهزامه أمام المنصور ومقتله سنة 336هـ/ 947م[2].

بعد هذه الأحداث دخلت افريقية حقبة سياسية جديدة تحت الحكم الصنهاجي، كأول دولة بربرية ،عملوا على التصدي للنفوذ الزناتي بالمغرب الأوسط بما في ذلك بلاد الزاب [3]،حيث قامت مدينة باغاية خلال الفترة الأولى من حكم **بلكين بن زيري** (362-373هـ/972-984م) بإيواء أحد الثوار الكتاميين، وهو **خلف بن خير** أحد المناوئين للسلطة الصنهاجيين ،واستمر بلكين بالحملات العسكرية لإخضاع القبائل الزناتية ،حيث قام بطرد مغراوة وبني يفرن

[1] – محمد الطمار : **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة** ،تق:عبد الجليل مرتاض ، (د. ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د .د) ، (د . س) ،ص31.

[2] – عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص545.

[3] – المرجع نفسه ، ص ص(285-290).

من مناطقهم بالزاب إلى المغرب الأقصى ،و إستمر بممارسة سياسة اخضاع القبائل الا أن توفي [1].

ليتولى ابنه **المنصور ابن يوسف بن زيري** (374-386هـ/984-996م) أمر افريقية من بعده ، و قد شهدت فترة حكمه قيام ثورة **عمه أبي البهار بن بلكين** ضد حكمه(379-383هـ/989-993م) إين استولى على بلاد الزاب و الونشريس و وهران[2].

ولقد جعل ولائه **لابن أبي عامر** أمير الأمويين بالأندلس ، وهو ما يعني خروج قسم هام من افريقية وهو بلاد الزاب من حكم بني زيري ،بعد ما استطاع أن يتحالف مع الزناتيين بالمغرب وخاض عدة معارك ، لكن عندما أحس بعدم قدرته على المواجهة رجع الى سلطة ابن أخيه المنصور بن بلكين سنة 389هـ/993م وعقد له على تاهرت[3].

كما كانت المغرب الأوسط خلال عهد **باديس بن المنصور** (386-406هـ/996-1016م) مجالا للصراع بين الزناتيين والصنهاجيين ،تمثل في سيطرة أمير **مغراوة** على تاهرت وتلمسان وشلف وتنس ، وقد دخلت المسيلة في الحكم الزيري[4].

كثرت الإضطرابات بطرابلس والمغرب الأقصى وهجومات الزناتيين المتتالية على الجهة الغربية للبلاد ،فقام باديس بن منصور بمنح عمه حماد صلاحيات أكبر في المغرب الأوسط ، وهي الخطوة الأولى في ظهور السلطة الحمادية حيث أخذ حماد يعمل على الإستقلال عن باديس ببناءه مدينة القلعة وتشييد القصور، و بقضاءه على الإضطرابات داخل البيت الزيري

[1] – ابن عذاري : **البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب** ،تح:بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ،دار الغرب الاسلامي ،مج 1، ط1،تونس، 2013،ص256-258.

[2] – ابن خلدون : المصدر السابق ،ج4.ص 42.

[3] ا– بن خلدون : المصدر السابق ،ج6،ص208.

[4] – سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق ،ج3،ص349.

من خلال قتله للمتمردين[1]، و بعد أن عقد له على جميع ولاية الجزائر الشرقية وأقطعه مقاطعة أشير وأمده بالخيل والسلاح ليكون دائما على أهبة الاستعداد لدفاع ،فاشترط حماد على عمه أنه اذا نجح في زحفه على زناتة أن يوليه المغرب الأوسط ،فوافقه باديس على ذلك ،فأعلن حماد الحرب على زناتة وظفر بهم .

فأصبح صاحب النفوذ المطلق بالمغرب الأوسط ،وأعلن عن قطع الولاء للفاطميين في عام 405هـ وصارت تمتد هذه المملكة غربا إلى فاس وشرقا إلى تونس وجنوبا إلى الزاب و ورقلة[2].

غير أن الأمور لم تستقر له ،فسرعان ما نشبت حروب بين باديس وعمه حين أمره بالتنازل عن تيجس وقسنطينة له ،فأبى حماد عن ذلك، لتقوم الحروب بينهما وقد تواصلت إلى عهد المعز بن باديس ،فكانت حروب عظيمة ، انتقل ميدان الصراع فيها إلى باغاية وما يليها[3].

كانت بسكرة قاعدة الزاب آنذاك ومن أسرها بنو رمان ،وبنو سندي فتولى رئاسة الزاب بنو رمان من البربر ،الذين نبذوا الطاعة لعهد الناصر ففتك بهم وادان منهم ببني سندي ،فلم يزالوا على رئاستهم مخلصين للدولة [4]،وتواصل استقرار بلاد الزاب خلال عهد الحماديين الى حين اجتياز بنو هلال وبنو سليم نحو افريقية سنة 443هـ/1051م.

[1] - عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص 0564

[2] – محمد طمار ،: **تاريخ الأدب الجزائري** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . س)،ص041

[3] – ابن عذاري : **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب** ،ج1، المرجع السابق ، ص293.

[4] – مبارك بن محمد الميلي : **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، تق:محمد الميلي ، ج2، (د .ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د . س) ، ص 237.

ثانيا : الهجرة الهلالية

يجمع أغلب المؤرخين على أن الهجرة الهلالية بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية وسياسية وحضارية ترجع في الأساس الى تلك القطيعة المذهبية والسياسية التي قم بها المعز بن باديس (ت543هـ/ 1061 م) [1]،حيث أنه في سنة (407هـ/1016م)، وتزامنا مع اعتلاءه الحكم استمر في تقتيل الشيعة ،انطلقت الفتن في كامل ربوع المهدية والقيروان لسخط العامة عن الشيعة وملاحقتهم .[2]

وفي سنة 409هـ/1081م حيث شهدت مدينة باغاية هي الأخرى أحداث مماثلة إلى غاية سنة 423هـ/1031م حيث تم تقتيل الشيعة كليا في المنطقة ،وبهذا التاريخ تم القضاء على الشيعة في المغرب ،ويبدأ المعز في دعمه للمذهب المالكي[3].

لقد تطور الصراع فقد اقسم المعز بن باديس ليقطعن طاعتهم وليحولن الدعوة لبني عباس ، وقد حدث ذلك وبايع الخليفة العباسي القائم أبي جعفر ،ويعتبر هذا القرار أو القطيعة السبب الرئيسي في فتح طريق المغرب أمام بني هلال ،خاصة وان الفاطميين قد عجزوا عن مواجهتهم عسكريا[4] ،فقام هذا الأخير بسماح لبني هلال وبني سليم الأعراب الذين كانوا في مصر بالسماح لهم اجتياز نهر النيل والعبور لبلاد المغرب . الذين كاوا يعيشون على هامش مناطق الحضر والاستقرار دون أن يؤذن لهم بدخولها وسكن داخلها ،قست عليهم الدولة فانحصروا في صحرائهم .

[1] – عبد الحميد سعد زغلول : المرجع السابق، ج3،ص147.

[2] – ابن الأثير ،: المصدر السابق ،ج8،ص114.

[3]– ابن عذاري : المصدر السابق، ج1،ص293.

[4]– ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6،ص17.

حينها خطر ببال الوزير الفاطمي **أبي محمد الحسن بن علي اليازوري** [1]، فكرة اقطاع بني سليم وبني هلال بلاد افريقية والمغرب ونقلهم اليها من أجل القضاء على دولة بني زير واذا كان العكس وتمكن بنو زير من القضاء على الهلاليين كان هذا خلاص من هؤولاء دون أن تخسر الدولة شيئا .[2]

وهكذا انتقل بنو هلال هؤلاء بجموعهم إلى الغرب واتجهوا نحو برقة ،وكان الخليفة الفاطمي قد اقطعهم افريقية والمغرب واعطاهم ما سماه "ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقروا بعد ذلك "[3].

ووصلوا افريقية ودخلوا القيروان ورغم محاولات المعز في منعهم عن دخول القيروان ،إلا أنها لم تجدي نفعا ،فكانت هزيمة حيدران سنة 443ه/1052م لتعمى الفوضى بعدها وسيطر الأعراب على السهول الخصبة والمراعي[4] .حتى وصلوا المغرب الأوسط ،فلقد حالف الناصر بن علناس قبيلة الأثبج سنة 457ه/1065م، وهي قبيلة من الأعراب الهلالية لمقاومة نفوذ بني رياح المتعاظم.

ومن مقدمات الوصول الهلالي إلى المغرب الأوسط قول ابن خلدون عن امتلاك شيوخ بني هلال لبعض المدن بالمغرب الأوسط .

---

[1]– **الحسن بن علي بن عبد الرحمن أبو محمد اليازوري:** ولد في فلسطين، اتصل بالمستنصر الفاطمي فاستوزره سنة 442، وجعله قاضي القضاة لقب بسب الوزراء ،انظر :محمد حمد المناوي : **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي** ،مصر ،(د.ط)،(د.ت)،ص257.

[2] – حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ،دار الرشاد ، ط1،القاهرة ، 1997،ص167.

[3] – ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6،ص20.

[4] – المصدر نفسه ، ص21.

" والعلاقات التي أقاموها مع ملوك بني حماد قد ساعدتهم كثيرا في التوسع بالمغرب الأوسط ولعلا الحدث الأكبر الذي أدى إلى رسم واقع جديد اجتماعي وسياسي واقتصادي في المغرب الأوسط هزيمة الناصر بن علناس التي لحقت به في معركة سبيبة سنة 457هـ/1065م فقد جمع هذا الأخير جيش من صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والأثبج وحاول الاستيلاء على ملك بني عمه بني زير بإفريقية ،الا أنه انكسر وهزم أمام قبائل بني رياح وبني زغبة، وبني سليم ،و بهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد [1]، فلقد تركت هزيمة الحماديين المغرب الأوسط مفتوحا أمام طوائف العرب التي دخلت البلاد وتمكنت من السيطرة على عدة مناطق ،وصل الأعراب إلى الزاب واكتسحوا بساطه بقوة[2]،حتى انتهوا من في القلعة كاملة ففزع الناصر منهم وشرع في بناء مدينة بجاية سنة 460هـ[3].

بعد فشل بني حماد في مواجهتهم عسكريا وكذلك فشل قبائل زناتة ،اضافة الى التحالف العسكري بين الصنهاجيين والزناتيين في دحر القبائل الهلالية ،اضطر بنو حماد الى الاتفاق معهم ومصالحتهم على التنازل لهم لملك الضواحي وكذلك البوادي [4].

[1]- ابن الأثير : المصدر السابق ،ج8،ص372.

[2]– ابن خلدون ،: المصدر السابق ، ج6،ص22.

[3]– ابن الأثير : المصدر السابق ،ج8،ص374.

[4] – مصطفى بن عربي : **مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن 4هـ الى سقوط دولة الموحدين 668هـ /1279**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ الحضاري للمغرب الاوسط ، قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ،2017/2016)،ص97.

الفصل الثّانـي

الحياة الإجتماعية لبلاد الزاب

المبحث الأوّل: : التركيبة البشرية

المبحث الثّاني: طبقات المجتمع

المبحث الثّالث: العادة والتقاليد

المبحث الأول: التركيبة البشرية

ان التركيبة البشرية لبلاد الزاب متنوع تشمل مجموعات مختلفة من البربر والعرب واهل ذمة وأفارقه، فالمعطيات التي لدينا تبين ان النسيج الاجتماعي للمنطقة في الفترة الوسيطة يتسم بالطابع الفسيفسائي، ميزته الأساسية تعدد عناصر سكان مدنه. ويمكن تصنيف مجتمع بلاد الزاب بعد الفتح الإسلامي إلى البربر والعرب وأهل ذمة والأفارقة.

أ-البربر:

تؤكد معظم المصادر الجغرافية على أن العنصر الغالب على المنطقة هم البربر، فابن خرداذبة (ت280هـ/893م) باعتباره جغرافيا يشير إلى ما كان قد حدث في ظروف سابقة من انجلاء البربر ودخولهم لبلاد المغرب زمن النبي داوود عليه السلام[1]، وان كانت هذه المعلومة أقرب للأسطورة، حيث أنه لا يقدم أي شواهد مادية، إلا أننا نأخذ به من كونه يشير إلى أقدم وصول الى هذه المجالات[2].

وكان الزاب في عهد الفتح الاسلامي مضرب قبائل زناتة[3] البربرية ، التي انتشرت في أغلب مدن الإقليم منها المسيلة وبسكرة ونقاوس وباغية[4] وسطيف. فيذكر اليعقوبي ان زناتة تمتد على اغلب مدن الزاب.

---

[1] – ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص38.

[2] – عمار غرايسة: **التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، اورجلان) من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن8هـ/14م،** (رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر،2019/2018م)، ص56.

[3] – علي الهطاري: **من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ /** 11م ، المرجع السابق ، ص39.

[4] – **باغية:** مدينة كبيرة في اقصى افريقيا بين مجانة وقسنطينة وهي كبيرة وعليها سوران من الحجر. ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص361.

ومنها نقاوس التي تسكنها قبيلة اوربة وبنو برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة سكنوا اربة[1].

وكذلك بنو يفرن وهم أحد اهم فروع زناتة استقروا بين جبال الاوراس، الا انهم بعد فشل ثورة بن كيداد[2] سيتقلص نفوذهم بالمنطقة ليتركز في ورجلان تحت الضغط الفاطمي[3].

أما قبيلة هوارة وهم من بطون البرانس فقد استوطنوا باغية، ولها بطون كثيرة منها ونيف بنواحي تبسة وبنو كملان بالمسيلة[4].

وسكن باغية أيضا قبائل من لوتة وهي من البربر البتر وقبائل من ضريس[5]، ويحيط ببسكرة قبائل سدراته ومغوارة[6]، وقوم يقال لهم بنو زنداج وقوم يقال لهم كزبرة وقوم يقال لهم سارسة بمقرة، زيادة على ذلك قبائل زواوة [7]وبنو دمر بمنطقة ادنة[8]. في تهودة نجد هوارة ومكناسة[9].

---

[1]– **اربة:** هي نفسه مدينة باتنة وهي مدينة عظيمة بينها وبين مسيلة اثنا عشر ميلا. ينظر: **عبد الله محمد على بن حماد الصنهاجي**، ..... تح: حلول احمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص41.

[2]– **ثورة بن كيداد:** وهي ثورة اندلعت في افريقية سنة 333هـ/944م، بقيادة ابي زياد مخلد بن كيداد بن كرمان بن يفرن بن جانا وهو زناتة، ضد الدولة الفاطمية لاعتبارات سياسية ومذهبية واقتصادية واجتماعية. ينظر: ابن خلدون،: المصدر السابق، ج7، ص ص(18–23).

[3] – علي الهطاي: **من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11 ام** ، لمرجع السابق ، ص40.

[4] – مبارك محند الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تص وتق: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، د ط ، لبنان–بيروت، د ت، ص224.

[5] – الحميري: المصدر السابق، ص77.

[6] – البكري: المصدر السابق، ص ص(52–72).

[7] – **زواوة:** من بطون البربر البتر من ولد سمكان بن يحي بن ضرب بن زحيك ابن مادغيس، وهم من أكبر بطون البربر. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص(168–200).

[8]– اليعقوبي: المصدر السباق، ص(190–191).

[9]– البكري: المصدر السابق، ص73.

ومما سبق يتضح ان منطقة الزاب كانت في الغالب للبتر من حساب البرانس[1].

دون اغفال توجد بعض قبائل البرانس ممثلة في قبيلة اوربة[2] وبعض بطون كتامة الذين سكنوا باغية ونقاوس وبلزمة وسطيف[3].

ب-العرب:

وكانت بلاد الزاب المجال الواحي الأكثر استقطابا للمجموعات العربية التي يبدوا انها قد وجدة فيها ما يتلاءم وخصائصها البيئية مع انماط العيش الخاص بهم[4]. فسكنوها وكانا اخلاط من العرب القيسية والعرب اليمنية. فعامل الزاب في زمن الاغالبة كنوا من الجماعات التميمية المضرية.

و قد دخل العرب اول مرة بلاد المغرب في صورة جيوش فاتحة في حملات عسكرية شبه متواصلة لتثبيت استقرار في البلاد، فقد جاءوا محملين برسالة عليهم تأديتها وهي نشر الإسلام، وهو الامر الذي تطلب تمازج مع المجتمع الذي انتموا اليه.

وإذا كانت القيروان هي المستقر الأول للعرب فإن فئات كثيرة، منهم نزحوا الى الداخل[5].

ويعتبر كتاب البلدان لليعقوبي من اهم المصادر التي وصفة تركيبة مجتمع الزاب، فيذكر ان عربا من القيسية سكنوا طبنة ومقرة اهلم قوم من بني ضبة. وكانت بلزمة لبني تميم[6].

---

[1] – **البتر والبرانس:** ينقسم البربر الى قسمين بتر وبرانس، فالبتر هم أبناء الوبرية تعتمد في عيشها على الترحال. اما البرانس هم قبائل البربرية المدرية تركن الى الاستقرار. ينظر: ابوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها واعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1،د ط، 2007م، ص ص(134-136).

[2] – صورية مديازة: المرجع السابق، ص13.

[3] – الصطخري: المصدر السابق، ص44.

[4] – عمار غرايسة: المرجع السابق، ص178.

[5] – ابن عذارى: المصادر السابق، ج1، ص70.

[6] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص190.

اما البكري فيكتفي بالقول بأن من سكان طبنة العرب، وكذا بمدينة تهودة وميلة وقسم طولقة الى ثلاث مدن احداها للقيسية وأخر لليمنية والثالثة للمولدين[1]. ولقد تمتع العرب بوضع ممتاز باحتكارهم شؤون الحكم وهيمنتهم على السلطة. ولكن الصراع القيسي اليمني الذي بدأ في المشرق ينتقل مع العرب الى المغرب، تسبب في اضعاف وجودهم السياسي أواخر العصر الأموي[2].

وخلال القرن 5هـ/ 11م بدأت الهجرة الهلالية، وقد كانت من اهم الحركات الاجتماعية الكبرى وأكثرها تأثيرا على تركيبة المجتمع المغاربي عموما.

ومن القبائل الهلالية التي استوطنت الزاب يذكر الحاج النميري بني رياح[3] وخاصة عثمان بن احمد الرياحي الذي كان يحترف الاغارة على القبائل في منطقة الزاب[4].

وبني الاثبج[5] وزغبة[6] وهي القبائل الهلالية الأكثر سيطرة على المنطقة. بالإضافة الى بني سليم الذين سيطروا على أطراف الزاب وضواحيها، وكذلك تمركز أولاد سابع على الجانب الغربي من الزاب وأولاد محمد ببسكرة. اما المجال الشرقي وقاعدته بادس لأولاد نايت[7].

---

[1] – البكري: المصدر السابق، ص ص(50–51–64–72).

[2]– محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ**، دار الثقافة ، ط2،، الدار البيضاء– المغرب، 1406هـ/1985م، ص285.

[3] – **بنو رياح:** رياح هي من أكبر القبائل التي استوطنت الزاب أعز قبائل هالل وأكثرهم جمعا وكان فيهم رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6 ،ص43.

[4] – بن الحاج النميري: **فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة وبلاد الزاب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1990، ص413.

[5] – **بنو الاثبج:** وهم من القبائل الهلالية عددهم كثير وبطونهم كثيرة وكان منهم الضحاك وعياض، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص30.

[6] – **زغبة:** هذه القبيلة اخوة رياح فهم أبناء ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر كانت لهم عزة وكثرة، ينظر: بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص54–55.

[7]– المرجع نفسه، ج6، ص ص(42–48).

ج-اهل الذمة:

اهل الذمة هم المجموعات الأقل انتشارا في منطقة الزاب ونقصد هنا يهود ونصارى. فقد سبق الإسلام ديانات اخر للمنطقة.

النصارى ويرجحوا انهم من الروم البيزنطيين الذي بقوا في المنطقة بعد الفتح الإسلامي حيث أطلق عليهم اسم اهل الذمة بعد الإسلام وكانوا يدفعون الجزية، ويسميهم البكري المولدين وقد سكنوا طولقة، ميلة، بسكرة، وإحدى مدن بنطيوس الثلاثة كما ذكرنا سابقا، كما توجد بعضهم في باغية وتهودة أيام عقبة بن نافع الفهري[1]، ويشير صاحب الاستبصار انه قد سكن بعضهم بادس[2]، وأيضا اليعقوبي في وصفه لمدينة مقرة ومدينة طبنة ذكر ان بهما بقايا من البيزنطيين[3]، وكان النصارى ذوي حرف وتجارة.

اما بالنسبة لليهود فقد هاجروا الى بلاد المغرب خلال العصر الروماني[4]، ويغيب ذكر ليهود منطقة الزاب في المصادر المتوفرة، ولكن يمكن اسقاط الواقع في افريقية والمغرب الأوسط على الزاب، خاصة اذ تحدثنا عن عهد الأغالبة لكون الزاب كانت تابعة رسميا لها. فيذكر ان في عهد الاغالبة ان القاضي احمد بن طالب[5] ، جعل على اكتاف اليهود رقع بيضاء عليه صورة

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق، ص ص(24-28).

[2] – مؤلف مجهول: **الاستبصار**، المصدر السابق، ص175.

[3] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص ص(190-191).

[4]– محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص286.

[5]– **احمد بن طالب:** عبد الله بن احمد بن طالب الاغلبي ابي العباس التميمي القاضي، تفقه بسحنون وولي قضاء القيروان لابن الاغلب وتوفي حوالي 270هـ. ينظر: ابي إسحاق على الشيرازي: **طبقات الفقهاء، مطبعة بغداد، د ط، بغداد-العراق، 1356هـ.**

قرد. وكذلك على أبواب منازلهم الواح عليه كذلك صورة قرد، وقد اتبع الغالبة هذا أيضا مع النصارى ورسموا بدل القردة خنازير[1].

د-الأفارقة:

وهم أخلاط من الناس يعملون بالزراعة والصناعة[2]، وهناك أفارقه من أصل بربري كانوا خدما للروم تأثروا بالحضارة الرومانية وانصهروا فيها[3]. ولكن بعد الفتح الإسلامي اسلام اغلبهم، رغم هذا فقد تعرضوا للاضطهاد في العصر الاموي واعتبروا من الموالي[4]. ويذكر اليعقوبي في وصفه لمدينة طبنة انا من سكانه الأفارقة[5].

وضافة الأفراقة هناك السودان وكانوا يجلبون من افريقية جنوب الصحراء عن طريق الغزوات العربية لأطراف بلادهم، او يجلبون كرقيق عن طريق التجارة وقد اختلط الكثير منهم بالبربر واعتنق بعضهم الإسلام.[6]

[1] – أبو بكر المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهدهم، ومناسكهم وسير من اخبارهم واوصافهم**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ج2،ط2، بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ص ص(476-477).

[2] – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص19.

[3] – راضي دعفوس: **عصر القيروان من بداية الانتشار العربي الإسلامي بأفريقية إلى نهاية الدولة الأغلبية**، مطبعة سنباكث، تونس، 2008م، ص18.

[4] – محمود إسماعيل،: المرجع السابق، ص286.

[5] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص190.

[6] – المرجع نفسه، ص345.

المبحث الثاني: طبقات المجتمع

لا يقتصر أمر المجتمع في المغرب الأوسط على تعدد الأجناس والديانات والمذاهب فقط، بل تعداه إلى إختلاف أنماط المعيشة والمستوى الاقتصادي. وبعد ما تطرقنا الى تركيبة مجتمع الزاب ولاحظنا التنوع البشري الكبير بمنطقة الزاب، فيبدوا انه من الضروري القاء الضوء على التقسيم الطبقي لهذا المجتمع. في محاولة للوصول في صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية في المنطقة خلال الفترة المدروسة.

بالنسبة للقبائل القاطنة حول المدن والذين يعيشون حياة الترحال. فيتعادل افراد القبيلة الواحدة في الاستفادة من الموارد الاقتصادية على اختلافها، كالمواشي والمراعي والعيون.

وفي حالة ما تقوم القبيلة بعملية غزو وسلب، فكانت بعض الافراد تحظى بامتيازات أكثر نظرا. لما يظهرونه من قوة وشجاعة. فكان هؤلاء ينالون عدد أكبر من المواشي[1]. وبهذا تتحقق لهم ملكية أكبر من غيرهم وتنموا بمرور الزمن، ويتم توارث هذه الملكيات خلفا عن سلف، وتتطلب هذه الأعداد الكبير من الماشية استخدام بعض أبناء القبيلة في مراقبتهم ورعاتهم، وفي بعض الأحيان يتم الاستعانة بالعبيد.

وبهذا يمكننا تقسيم المجتمع البدوي الى عدة فئات:

فئة ثرية بفضل ما تملكه من ماشية كم ذكرنا. وعامة القبيلة وهي فئة متقاربة في الأوضاع الاقتصادية وهم اقل درجة من الفئة الأولى، والموالي والذين لا يملكون دم القبيلة، وكذلك فئة العبيد وهم ام أسرى حروب، او إتباعهم اسيادهم[2].

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس هجري**، ديوان المطبوعات الجامعية د ط، ، الجزائر ،د ت، ص254.

[2] – صورية مدياز، المرجع السابق، ص102.

أما في المدن فالصورة مختلفة، وهذا لان المدن تحتوي على فئات كثير ومختلفة من الناحية الأجناس والأديان، وينقسم هذا المجتمع إلى طبقتين عامة وخاصة[1].

فنجد ضمن الطبقة العامة الفلاحون وأصحاب الملكيات الصغيرة واهل الحرف، وصغار التجار ومن دونهم وصولا إلى العبيد[2]:

أ. **الفلاحون:** وهم أصحاب الماشية والمزارعون.

اصحاب الماشية: هم الذين يعتمدون في معيشتهم على ما تدره عليهم حيواناتهم.

ب. **المزارعون:** هم الذين يعملون لحساب غيرهم بأجر زهيد وهؤلاء غالبا ما يعملون في اقطاعية كبار الملاك.

ونجد ضمن هذه الفئة، البربر أصحاب الأرض الأصليين والعرب الوافدين الذين جعلوا من هذه البلاد ديارا لهم، من الوارد أيضا ان يكون قد اشتغل في هذا المجال اهل الذمة أيضا وان كان في اضيق الحدود أي كخدم عند الملك.

ج. **أصحاب الملكيات الصغيرة:** وهم سكان المداشر والأرياف، قاموا باستصلاح الأراضي قدر ما يستطيعون خدمتها، وكانت حالتهم في تدهور مستمر بسبب الضرائب والغرامات خاصة في العهد الفاطمي[3].

[1]– صورية مدياز، المرجع السابق، ص103.

[2]– جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص256.

[3] – المرجع نفسه ، ص257.

د. اهل الحرف: كانت هذه الفئة ضمن فئات الدنية، ويصفهم القاضي النعمان بأشباه البهائم فيذكر انه رأى<< كثير من الناس وعوامهم ومن هم اقرب شبها بالبهائم منه بالناس كالصناع والمضربين والحاملين يؤدون ما ائتمنوا عليه مع الفقر مدقع وحاجة شديدة>>[1].

د. صغار التجار: وهم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة، وحاجة الناس الى هؤلاء قليلة وتقل أكثر كل ما ابتعدوا عن المدينة. ويستعملون الغش وغيره من الوسائل المنحرفة في البيع السلع، ولا يحترف هذا النوع من التجارة إلا العامة من الناس ويترفع عنه ذوو الجاه.

أما الطبقة الخاصة فهي تتكون من رؤساء القوم وشيوخهم ووجهائهم وموالي.

فالشيوخ: هم رؤساء الجماعات مقيمة في المدينة كأن تكون مهنية او قبيلة فقدت صلتها بقبيلتها الام او ضعفت عصابيتها لها[2].

وفئة الوجوه: وهي فئة مستقلة، وهم أعضاء مجلس الجماعة وأهل الحل والعقد ويتمتعون باحترام الجميع وتقدير الجماعة التي ينتمون اليها، كأن يكون تاجر يدين له سائر التجار بالاحترام لما عرف عنه من خصال حميدة واخلاق كريمة، والوجاهة لا تقوم على عصبية قبلية[3].

أما الموالي: فقد ظهرت هذه الفئة في مختلف انحاء المغرب الأوسط، إذ كان اليعقوبي قد ذكر أن سكان مدينة بلزمة<< قوم من بني تميم وموالي بني تميم>>[4] وقد وجدوا بكثرة، وكان الامراء في أغرب الأحيان يبعدون العرب والبربر معا خوفا من منافستهم، ويعتمدون الى حد كبير على الموالي لان ليس لهؤلاء مطمع سياسي، وقد تمتع الموالي بوضع محترم في المجتمع فأسندت

[1]– جودت عبد الكريم: المرجع السابق ، ص258.

[2] – المرجع نفسه، ص271.

[3] – المرجع نفسه ، ص272.

[4] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص190.

إلـيهم الناصـب السـامية والحساسـة فـي الدولـة، خاصـة فـي العهـد الرسـتميون والفـاطميون فالزيريون[1].

بإضافة الى هؤلاء لدينا كبار التجار وهم على صلت وثيقة بالسلطة رغم ما قد يحصل بينهم من خلاف إلا أنهم وبدافع المصالح يجتمعون معا أمام الطبقة العامة من المجتمع[2]، وكذلك كبار الملاك و أهم الأقطاعيون، والحاشية والشرطة والقضاة وأصحاب الدواوين و أهل العلم[3].

إن كل هذه الفئات العديدة التي سبق ذكره والتي تتأثر بالمناصب والراتب الإجتماعية، وهي قمة الهرم الاجتماعي في بلاد الزاب والمغرب الأوسط عامة، كانت تمثل الأقلية في البلاد بالنسبة لطبقة العامة من السكان التي كانت تمثل القاعدة العريضة من الهرم[4].

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

إن اختلاف شرائح المجتمع التي عاشت في بلاد الزاب ساهمة في الحياة الاجتماعية أثرت وتأثرت فنتج عن ذلك مجموعة من العادات والتقاليد المختلفة نذكر منها :

أ المؤاخات :هي إحدى الطقوس التي قيل أن الكاهنة تقوم به، حين آخت بين ابنيها وأحد أسراها المسلمين وسمته بالرضاع فقالت "نحن جماعة البربر لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به فمزجت بين الدقيق والشعير والزيت وجعلته على صدرها ثم أطعمتها لولديها والأسير "[5]،وهو

[1] – جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص ص (289_290).

[2] – نفسه، ص287.

[3]– صورية مدياز: المرجع السابق، ص130.

[4] – جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص291.

[5]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص63.

أمر كان موجود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حين آخى بين المهاجرين والأنصار لكن بطريقة مختلفة .

ب التنجيم والكهانة :

عرف سكان أهل الزاب باهتمامهم الكبير لمسألة التنجيم، فلقد حكمتهم الكاهنة التي كانت تخرج عليهم ناشرة شعرها ضاربة صدرها لتخبرهم بالغيبيات ، بينما شاع كثيرا في العهد الرستمي التنجيم، فقال قال عبد الوهاب بن عبد الرحمن "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لاتعلم أين بات القمر "[1].

ج الختان الجماعي:

يقوم بهذا الأمر ويدعوا إليه ميسوري الحال من كبار التجار ورجال الدولة وحتى الأمراء فقد دعا المعز إلى تنظيم ختان جماعي للصبيان في كامل البلاد الخاضعة لحكمه بمناسبة ختان أبنائه الثلاثة سنة 351هـ/962م وأرفق بذلك منح العطايا [2]للصبيان المختونين .

وقد وصف القاضي النعمان عملية الختان وصف جميلا فقال "والختانون في السرادقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان والقوم يمسكونهم في حجورهم ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختاناتهم ويقفون البخور وماء الورد على رؤوسهم، ويرشوهم على وجوههم لما يعتريهم من الروع "[3] .

---

[1]– أحمد بن سعيد الدر جيني (ت670هـ): **طبقات المشائخ بالمغرب** ،تح :إبراهيم طلاي، ج1،(د.ط)، (د .د)، (د. س)، ص 56.

[2] - صورية مدياز: المرجع السابق، ص112.

[3] – القاضي النعمان (363هـ): **المجالس والمسايرات**، تح :إبراهيم الفقي وآخرون ،دار المنتظر، ط1،بيروت _لبنان، ، 1996، ص557.

وصف القاضي النعمان الختان وصف بديع وجعل منه حفلا بهيجا، هذا بالإضافة إلى الأعطيات التي وزعت عليهم كل حسب مكانته الإجتماعية .

د/ استعمال البخور:

يبدو أن بلاد المغرب قد عرفت استعمال البخور، إما لتعطير المنازل أو المساجد ،واعتقدت فئة منهم أنه طارد للأرواح الشريرة، أو للاستعمال الشخصي كالبخور وماء الورد الذي عطر به الصبية المختونين[1].

ت/تقبيل اليد:

انتشرت هذه العادة عبر كامل بلاد المغرب، فدلت على التقدير والاحترام ،ويذكر القاضي النعمان أنه خرج في إحدى المرات لاستقبال المعز فانحنى يقبل الأرض ثم أومأ إليه المعز بيده فقبلها ولقد بقيت منتشرة هذه العادة[2].

النياح على الموتى :

كان النياح منتشرا في بلاد المغرب، بل أنه كان عبارة عن مهنة تمتحنها بعض النساء يقمن بهذه المهمة في التجمعات وأمام الملأ، فقد نوح على عبد الله الفاطمي في القيروان وجميع المدن التي كانت خاضعة للسلطة الفاطمية .

أما المعز فقد أنكر هذه العادة وحاربها، وأمر بمعاقبة من يفعلها بالضرب الموجع والنداء عليهن والحبس الطويل، ومع ذلك لم تمتثل النائحات ونقلن عملهن إلى داخل البيوت .[3]

الزواج :

[1] – جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص321.

[2] – القاضي النعمان: المصدر السابق، ص550 .

[3]– ابن حماد: المصدر السابق، ص50 .

مـن الناحيـة الشـرعية وبعـض الطقـوس الـزواج موحـد، التغييـر والإخـتلاف فـي المسـتوى الاجتماعي والمادي للمتزوجين، مثلا أن يستدعي الحاكم أحد أفراد رعيته إلى مجلسه ليخطبه في ابنته[1]،أو تقتني الجواري إلى حين يتمكن الرجل من تغطية تكاليف العرس ومتطلبات الحياة الزوجية وأهمها البيت[2].

اللباس :

إن طبيعة اللباس وعدد القطع التي تلبس ترجع إلى المكانة الاجتماعية والعلمية للشخص فقد تعرض البهلول بن راشد إلى الاهانة مرة من قبل خدم الأمير الأغلبي بسب مظهره الذي لا يدل على مكانته، فلم يخرج بعدها إلا بثياب حسنة[3].

ولقد وصف القاضي عياض ابن طالب بأنه كان فاخر الثياب والذي يتكون من أكثر من قطعة فلقد كان يتصدق بفروه وبعض كسوته التي عليه[4]، وكان اللحاء مظهر مكمل للباس كمظهر رجولي وجمالي .

المرأة :

إن المصـادر لـم تـأتي علـى ذكـر المـرأة بـبلاد الـزاب حيـث أنهـا تقتصـر علـى نشـاط الكاهنـة السياسي أيم الفتح الإسلامي، لكن هذا لا يمنع من أن تكون المرأة عنصر فعال في المجتمع،

[1] – ابن الصغير : **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر، ابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ص45.

[2] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، المصدر السابق ، ج27،ص544.

[3] - القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص90.

[4]– القاضي عياض: المصدر السابق، ج4،ص315.

حيث كان لها دور أساسي و في الحياة الأسرية بقيادتها للأسرة وحظيت بكونها زوجة بمكانة هامة وتقدير .[1]

[1] – صورية مديازة: المرجع السابق، ص115.

الفصل الثّالث

الحياة الثقافية والواقع الحضري في بلاد الزاب

المبحث الأوّل: المعالم العمرانية لبلاد الزاب

المبحث الثّاني: : الحضور المذهبي

المبحث الثّالث: أبرز العلماء

المبحث الأول : المعالم العمرانية.

تشتمل منطقة الزاب على مجموعة من المعالم العمرانية، ذات طراز معماري مختلف موغلة في التاريخ بحيث تعود للقرن الثاني للهجرة.

1. المساجد:

كون المدينة الإسلامية لا تقوم بدون مسجد جامع، نجد هذه النشأة في جميع المدن، كبيرها وصغيرها. فبعد الفتح الإسلامي لبلاد الزاب انتشرت المساجد بشكل كبير لما لها من أدوار متعددة، تعبدية وتعليمية واجتماعية وغيرها، فمدينة بسكرة احتوت على مسجد جامع مساجد كثير تخص مختلف الخطط والاحياء[1]. ومدن بنطيوس الثلاث كان لكل واحد منها جامع، وبتهودة جامع جليل ومساجد كثيرة من أشهر المساجد و أقدمها[2].

مسجد سيدي عقبة الموجود بمدينة تهودة(سيدي عقبة حاليا) يعتر أقدم المساجد في بلاد الزاب، يعود الى القرن الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي، بني الى جانب ضريح عقبة ابن نافع[3]، وهو مسجد يقوم على واحة صغيرة تحمل اسم سيدي عقبة وهو يضم للمجاهد العظيم وبيت صلاة ذو أروقة فسيحة تقوم فوقها عقود مستديرة ترفع على دعائم صغيرة من الاجر وكل الاعمدة والعقود في غاية البساطة[4].

---

[1]– لبكري: المصدر السابق، ج2، ص713.

[2] – المصدر نفسه، ص740.

[3]– عبد العزيز شهبي: **مساجد اثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ**، (رسالة لنيل شهادة دكتوراه، الحلقة الثاني، الأثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر ،ص1985)، ص16.

[4] – حسين مؤنس: **المساجد**، دار عام المعرفة، الكويت، يناير 1981، ص197.

مسجد سيدي موسى الخدري، أقدم مسجد في مدينة بسكرة، وهو يقع على الضفة اليمنى لوادي بسكرة ولا يوجد على تاريخه أي مصادر أدبية واثرية تحدد تاريخ بناءه ولا تراجم عن شخصية موسى الخدري الذي دفن فيه[1].

2. الحصون والقلاع:

كانت ببلاد الزاب الكثير من الحصون والقلاع، منها قلعة لميس، حصن الوطايه، حصن الفلق، قلاع ريقه، حصن فرفر[2]، ان هذا العدد من القلاع والحصون ام يكن وليد هذه الفترة الوسطية بل ما هو الا تواصل لسياسة تعميرية قديمة كانت سائدة منذ الفترة الرومانية والبيزنطية.

ومن الحصون البارزة ببلاد الزاب نذكر حصن فرفر، كان ليعقوب بن علي وجماهر أولاد محمد يسكنونه ويحميهم، من شدائد الحياة فكان ملاذهم ومأمن نكبتهم، الا انه هُجم وأُحرق من طرف السلطان ابي عنان المريني.[3]

الأسواق والحمامات:

تميز العمران الإسلامي ببلاد الزاب بالمنشأة ذات المنفعة العامة. منها مثلا ان مدينة بسكرة كان بها أسواق وحمامات التي كانت موضع اهتمام من قبل المسلمين، ووجود الحمامات

[1] –عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص27.

[2] –النيميري: المصدر السابق، ص418

[3] – الصادق الزياني: **جغرافية العمران ببلاد الزاب من خلال رحلة فيض العباب للنيميري**، (د .د) ، (د . ط) ، (د . س) ، ص ص (564.562)

والاسوق بمدينة بسكرة دليل على أهميتها والعدد الكبير لسكانيها، وتغيب عنا المعلومات الكافية عن عدد الحمامات ووصف مخططاتها، ومن يقوم على خدمة الحمام والسوق[1].

القصور:

الوجه الأخر للعمارة ببلاد الزاب مثلته القصور فلقد انتشر عمرانها. يقول ابن خلدون" كانت تخوم بلاد زناتة منذ غلبهم الهلاليون على افريقية وضواحيها أرض مصاب بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الأوسط، وبها قصور جددها فسميت باسم من ولي خطتها من شعوبهم"[2] ولقد اعطى هذا الشكل من العمارة تميزا كبيرا لبلاد الزاب.

من القصور (قصر البانية) البديع الذي بناه سعيد بن موسى بن أحمد بن رياح، وكان قد خرج عن طوع المرينيين فمكان حال القصر إلا كما سبقوه "اقتحمت القبائل مسافاته، ونهدت معتملة في محو سماته حتى صار خاويا"[3].

ومن قصور بلاد الزاب كذلك جاء ذكر (قصر عثمان) لعثمان بن علي بن أحمد الرياحي، وقد خرب القصر من طرف السلطة المرينية.

يقول النيميري" فرأينا قصرا بديعا قد قامت بذلك المواضع الخلاء عجائب آثاره، وكان قصر منفسح الساحة، منخرق المساحة"[4] فكان حاله ومأله كسابقيه فخرب شر تخريب ونزعت جذرة التمرد الرياحي من بلاد الزاب.

---

[1]– صلاح الدين هدوش: " **المدينة ببلاد الزاب من خلال مصادر عربية ممن القرن 5هـ/11م الى القرن 8هـ/14م**" ، ع 14، مجلة العلوم والانسان، جامعة باتنة، الجزائر، مارس 2015، ص122.

[2]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص29.

[3]– النيميري: المصدر السابق، ص ص(416–417).

[4]– نفسه، ص413.

المبحث الثاني : الحضور المذهبي

بعد فترة الفتوحات الإسلامية في المغرب الإسلامي، أصبحت مدينة القيروان مركزا للعلم حتى أضحت مفخرة العرب آنذاك، فاختيرت عاصمة للولاة والأمراء فيما بعد ، انه بعدة فترة 96هـ/714م كانت بلاد الزاب قد انخرطت تدريجيا في الفلك السياسي للخلافة الأموية، لتصبح بذلك مقاطعة أموية[1] .

فلقد جاءت الحديث عن الزاب في كتاب المؤرخ خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)في معرض حديثه عن الأوضاع المذهبية السياسية في المنطقة بعد نشوء كيانات سياسية معارضة للسلطة الأموية، حيث يظهر أبرز حدث في تلك الفترة ونقصد (124 هـ/741م)والمتمثل في انتشار المذهبين الصفري المدراري والاباضي الرستمي، ليتطور إلى صراع عسكري بين السلطة الأموية في القيروان وباقي النخب المذهبية من أجل بسط نفوذ كل جماعة على الساحة ببلاد الزاب وكل المغرب الإسلامي آنذاك [2] .

صحيح أن الدولة الأموية قد كانت أول من نشر ومثل لأهل السنة والجماعة، لكنها في الحقيقة ابتعدت عن مبادئ هذا الفكر الإسلامي السني، لتتخذ الجماعات الأخرى الصفرية الاباضية من تخلي السلطة الأموية على هذه المبادئ في المقابل عمل الآخرين على ترويج مبدأ الشورى والعدالة الاجتماعية في القبائل والأرياف،أين لاقوا كل الترحيب[3].

---

[1] – صادق الزياني: **حضور الجماعات السنية ببلاد الزاب من العهد الأموي وحتى القرن الهجري الخامس المذهب المالكي نموذجا** ، ص691 .

[2] – خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، تح :أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة،(د.ت) ص ص(353،356).

[3] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص47.

يعتبر الداودي المالكي (ت402هـ/1011م) [1]،من أهم الشخصيات الفقهية المالكية التي تغلغلت في الوسط الريفي، حيث اتجه إلى نشر المذهب المالكي بمدن الزاب باستثناء القلعة والمسيلة، في هذه المرحلة تلاشت نسبيا القوى الاباضية تزحزحت نحو سدرا ته ثم ورجلان، أين استقرت بشكل نهائي بعيد عن المد الاسماعيلي بمذهبه الشيعي . إن هذه الظروف ونقصد نهاية القرن الرابع هجري /العاشر ميلادي، قد أكسبت المذهب المالكي قوة بفضل توجه أغلب النخب المحلية لاعتناق مذهب الإمام مالك وتحولت جل أرياف المغرب الأوسط مالكية في معظمها .[2]

إن الفراغ السياسي الذي سببه رحيل الفاطميون إلى مصر، قد عاد بالسلب على مذهب الشيعي وإتباعه، خاصة بعد ماتحولت النخب المحلية إلى الانتقام من المجموعات الاسماعلية الشيعية، انحصر وجودهم في جبال لأوراس وباغاية إحدى الكبرى لبلاد الزاب في تلك الفترة[3] .

واصلت الجماعات المالكية اكتساحها لمعاقل الجماعات الاباضية حيث تم لها النجاح والاستحواذ على كل أرياف الزابية تقريبا بعد ما ضمنوا المدن الشمالية لبلاد المغرب الأوسط . فحقق المذهب المالكي انتصارا باهرا استطاع فرض سطوته على الجغرافية المذهبية في بلاد الزاب خصوصا والمغرب الأوسط عموما [4] .

إن الإطار الجغرافي الذي شكل مقاطعة الزاب قد أدى إلى انتشار أفكار الجماعات الثورية خاصة في القرن الثاني للهجرة بكل سهولة، فوقوع الزاب بين مختلف معاقل الجماعة الاباضية خصوصا في جبال لأوراس وبلاد قسطيلية ونفوسة، كل هذا سهل من تجذر أفكارهم بهذه

[1] – القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص18 .

[2] – الصادق زياني: المرجع السابق، ص698.

[3] – بوريبة رشيد: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، (د.ط)، 1977، ص32.

[4] الصادق زياني: المرجع السابق، ص ص(700 –701).

المقاطعة التي ستتخلى في شقها الريفي عن سلطة الأمويين لتتبع مؤقتا سلطة الاباضية بشتى أطيافها .

الفكر السني ببلاد الزاب :

في مرحلة مميزة جدا طبعها التشتت المذهبي السياسي انجلت في الأفق تحولات مذهبية جديدة، كان أبرزها وصول أفكار المذاهب الفقهية السنية إلى افريقية وبلاد الزاب، حيث عملت الرحلات العلمية ورحلات الحج دور مهم في نشر المذهب السني الجديد في بلاد الزاب ومحاولها[1].

يعتبر القاضي عياض (ت544هـ/1150م)من أبرز الشخصيات التي كتبت في المذهب الحنفي وانتشاره، ففي مؤلفه "**ترتيب المدارك** " أبرز الأسبقية الزمنية في أو ما وراءها من المغرب، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات، وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ،ولم يزل يفشوا إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه. "[2].

إن شهادة البكري (ت487هـ/1094م)كأحد أبرز من عايش القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي يؤكد على انتشار المذهب الحنفي في منطقة الزاب وبقائه هناك حتى القرن خامس هجري فيقول "وأهل تهوده على مذهب أهل العراق "[3].

[1] - الصادق الزياني: المرجع السابق، ص692.

[2] – القاضي عياض: **ترتيب المدارك** ج1،(د.د)، (د.ط)، (د.ت)، ص25.

[3] – البكري: المصدر السابق، ص73.

ويؤكد البكري في كتاب المسالك والممالك الجزء الثاني على انتشار المذهب الحنفي في الأرياف، بداية من واحات بنطيوس، يقول البكري "وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض وفي كل مدينة جامع، فالاثنان لأهل السنة والثالث لقوم من الخوارج. " [1].

المذهب المالكي :دعوى الحضور ومقتضى الانتشار ببلاد الزاب

تأسس المذهب المالكي على يد الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي بالمدينة المنورة، وقد اتصل أهل المغرب بالإمام مالك مباشرة وتتلمذوا على يده ونقلوا أرائه وعلمه وفتواه إلى بلاده ولعلهم وجدوه الأنسب مع بيئتهم ففضلوه عن غيرهم من المذاهب الأخرى فغلب مذهبه عليهم .

وتعتبر أغلب المصادر ان تولي الامام سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ/855م)منصب قاضي افريقية سنة 234هـ/848م لحظة بارزة في حياة المذهب المالكي ببلاد المغرب ككل، فبقراره الاعتماد على المذهب المالكي في الإفتاء والقرار الثاني منع الإفتاء بالمذاهب الأخرى في حضرته[2].

تملكت الجماعات المالكية الساحة المذهبية، أين كسرت شوكت المذاهب السباقة وطردها من حلقات المساجد ، ثم انتقلت الجماعات المالكية إلى الأحناف أين قيدت بل شلت كل تحركاتهم باعتماد الإمام سحنون على أكبر ممثليها في القضاء بعد التأكد من التحاقه بمذهب إمام دار الهجرة .[3]

[1] – البكري: المصدر السابق، ص72.

[2] – الصادق الزياني: المرجع السابق، ص697.

[3] – نفسه، ص702.

المبحث الثالث: أبرز العلماء

كان اهل الزاب وخاصة الطبنيين منهم يزاولون تعليمهم الأول بمسقط رأسهم، ثم يذهبون الى القيروان للاستزادة. ومنها يرتحلون الى المشرق قصد التعمق في الدراسة على يد أعلامها في مختلف العلوم، ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم وقد تزودوا برصيد لا ينضب من الثقافة العلمية النقلية والعقلية. ليتولوا مهمة التدريس في طبنة وغيرها من مدن الزاب[1].

وكان في الزاب وعاصمته طبنة[2] حلقات تدريس في الجوامع والزوايا للبادية. وكانت مدنه تضاهي مدن افريقية ذاتها في العلم، حيث كانت طبنة اهم دار للعلم ما بين القيروان وتيهرت[3].

أ. علماء طبنة خلال العهد الاغلبي:

ان الحركة العلمية التي شهدتها الزاب خلال زمن الاغالبة، محاطة بالاهتمام الذي اولاه امراءها للعلم والعلماء بالإضافة الى العوامل السابق ذكره. وفي هذه البيئة نجبت طبنة اعلاما في الفقه والادب واللغة والعلوم[4].

إبراهيم بن الطبني:

وكان شريكا لسحنون بن السعيد(240هـ/854م) في قضاء القيروان بأمر من الأمير ابي العباس محمد ان اغلب بن ابراهيم[5].

---

[1] - الطيب بو سعد: " **دور علماء طبنة في العصور الوسطى**" ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع3، غرداية–الجزائر، 2008، ص5.

[2] طبنة: بلدة في طرف افريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسر بن نصير، وليس بين القيروان وسجلماسة مدينة أكبر منها. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 21

[3]– صورية مدياز: المرجع السابق، ص120.

[4]– المرجع نفسه، ص120.

[5]– القاضي العياض: المدارك، ج4، ص68–69.

عبد الله بن محمد بن ابي عباد بن كثير الطبني التميمي:

ولد 212هـ/827م، كنيته أبو محمد، جده أبو معمر المحدث المشهور بأفريقية، من أصحاب سحنون، كان من فقهاء المدينة عالم باللغة والنحو والفصاحة، توفي 299هـ/911م وعمره 87 سنة[1].

حمدون بن عبد الله او عبد الله المعروف بابن الطبنة:

ولي له قضاء طبنة، له سمع من سحنون وصحبة طويلة، ولي قضاء باجة. من اهل العناية بالعلم والفقه[2].

ب. العهدين الفاطمي والحمادي(296-547هـ/909-1152م):

ظهر في العصرين الفاطمي والحمادي مجموعة من العلماء في الحديث والفقه والتفسير والقراءة واللغة والادب، ارتفع بعلمهم لواء المذهب المالكي الذي بقي سائدا حت في عهد الشيعة الفاطميين، الذين حولوا بعد توطيد نفوذهم السياسي والعسكري في المنطقة اجتثاثه من جذوره. وذلك عن طريق المناظرات المذهبية او اغراء الناس بالمال، وصولا الى القمع والعنف لثني المجتمع على مذهبهم السني[3].

علي بن منصور الطبني:

[1]- القاضي العياض: **تراجم اغلبية**، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د ط، تونس، 1964، ص373-374.

[2] - المصدر نفسه ، ص 373-374.

[3]- الطيب بو سعد: المرجع السابق، ص6.

وقد ترجم له الياقوتي عند ذكره لمدينة طبنة، ولغيره من اعلامها فقال عنه انه اشتهر بالحديث وممن روى عنه[1].

أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطبني القيرواني:

سافر الى بغداد وسمع الحديث بها وله شعر، ثم رحل الى مصر، وذريته به. وروى عنه المحدث المصري المعروف بالمغاربي[2].

أبو الفضل عطية بن على بن عطية بن الحسن بن يوسف القرشي الطبني القيرواني:

سكن بغداد وسمه الحديث بمكة من ابي المغيث عبد الكريم بن عبد الصمد المقرى[3].

محمد الحسن بن محمد بن اسد بن محمد بن إبراهيم بن زيادة بن كعب بن مالك التميمي الحصاني الطبني الزابي:

ولد 300هـ/912م، من بيت ادب وشعر وجلاله ورياسة، دخل الاندلس سنة 331هـ/942م، زمن المستنصر ولي الشرطة، توفي في سنة349هـ/1003م[4].

أبو مضر زيادة الله الطبني:

استوطن قرطبة وكان نديم محمد بن ابي عامر، كما اشتهر برواية الحديث والتضلع في اللغة والادب. وبرع في قول الطرائف وقرض الشعر ونظمه[5].

أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني:

---

[1] –الحموي: المصدر السابق، ج4، ص21.

[2] – المرجع نفسه .

[3] –عز الدين ابن الاثير الجزري: **اللباب في تهذيب الانساب**، ج2، د ط، مكتبة المثنى، بغداد–العراق، د ت، ص275.

[4]– المرجع نفسه، ص951.

[5] – أبو حسن علي بن بسام الشنتيري: **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة**، الدر العربية للكتاب، تح، احسان عباس ج1، د ط، تونس، 1981، ص536.

ولد عام 396هـ، وهو عالم باللغة وشاعر واديب، أصله من طبنة وعاش في قرطبة مع اسرته وهو الابن الأكبر لابي مضر زيادة الله الطبني.

كان من اهل الحديث والرواية، اذ له رواية وسماع بالأندلس ورحل الى المشرق وسمع عن مجموعة من المحدثين بمصر والحجاز. مات مقتولا 457هـ/1065م[1].

ومما سبق نستنتج ان زمن الشيعة الفاطمية، إضافة لما سببه الزحف الهلالي من خراب، فضلت الكثير من الاسرى الهجرة من موطنها الأصلي اما الى الاندلس او مصر او بغداد او الحجاز، وهنا نلاحظ ان عدم الاستقرار الأمني والسياسي بعد انهيار دولة الأغالبة، ان التراث الثقافي لمدينة طبنة ولمنطقة الزاب ككل وما انتجه اعلامها في مختلف العلوم، قد استفاد منه اهل الاندلس والمشرق اكثر من سكان المنطقة انفسهم[2].

[1] – رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط2،، الجزائر، د ت، ص264. الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21.

[2] – الطيب أبو سعد: المرجع السابق، ص10.

الخـــاتـــمـــة

تتمة لهاته الدراسة التي حاولنا من خلالها الوقوف على أهم الملامح العامة لبلاد الزاب، استطعنا ان نقف عند جملة من القضايا الرئيسية التي نعتبرها نتائج لما استطعنا الوصول اليه.

من أبرز ذلك ما يمكننا ايجازه فيما يأتي:

- ✓ إن إقليم الزاب وعلى مر العصر الوسيط كان حفل بالأحداث التاريخية و المعلمية التي اثرت في تاريخ المغرب الإسلامي، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي واتساع حدودها الطبيعية والجغرافية، هذه الحدود التي كانت نقطة اختلف كبرى بين المؤرخين والجغرافيين، نظرا لان إقليم الزاب لم يعرف معنى الثبات بسبب الحالة السياسية، فحدوده كانت تتقلص وتمدد حسب القوى التي تحكم الإقليم.
- ✓ واجهت المسلمين تحديات كبيرة في سبيل فتح بلاد الزاب، فقد كانت حصنا منيعا يصعب اختراقه حيث شهدت مدنها مراحل صعبة لأخاضعها تحت السلطة الإسلامية وثارت عدة مرات لتأكد رفضها.
- ✓ مثلت بلاد الزاب مهد نشأة الدول المستقلة بأفرقيه منذ العهد الاغلبي الى عهد بني حماد.
- ✓ عرف إقليم الزاب تركيبة بشرية متنوعة ومختلفة في الفترة التاريخية المدروسة، فقبل دخول الإسلام تنوعت بين البربر وهم السكان الاصليون للمنطقة والعجم والعبيد، ليزداد هذا التنوع بعد الفتح الإسلامي بدخول المسلمين الفاتحين، ثم عرب بني هلال.
- ✓ غلب العنصر البربري ثم العربي على بلاد الزاب، مع وجود اهل الذمة حيث كانوا اخلاطا بين النصارى واليهود والافارقة، ورغم ان الإسلام قد حفظ حقوق اهل الذمة، الا ان هذه الفئة قد عانت الاضطهاد خاصة خلال العهد الأغلبي، اما الأفارقة فكان اغلبهم عبيدا، وقد كانت هذه الفئة جزءا لا يتجزأ من مجتمع الزاب، وقد تعرضوا للاضطهاد زمن الامويين.

- ✓ تكوَّن مجتمع الزاب من مختلف الشرائح الاجتماعية، سواء في المجتمع البدوي او نظيره الحضري، فالاثنان تميزا بالطبقية وان كان عند البدو بشكل اقل، وقد انقسم مجتمع الزاب الي طبقة خاصة لصفوة المجتمع وطبقة عامة تمثل غالبية المجتمع. ولعل السبب في هذه التحولات السياسية والمذهبية وما نتج عنه من تغيرات في الحالة الاقتصادية.
- ✓ تأثرت العادات والتقاليد في بلاد الزاب بالأحداث السياسية والتي غيرة في الواقع الاجتماعي، فتفاعل البربر من المسلمين.
- ✓ ان عمارة المساجد والقصور والقلاع، وحتى الأسواق والحمامات غيَّرت من الواقع الريفي لبلاد الزاب، ومهَّدت بشكل واسع للتطور الحضري الذي تميَّز بما فيه من تحصينات وجانب من العمارة القبلية وما ميزها من غلبة سطوة الأشراف.
- ✓ كانت بلاد الزاب وكغيرها من المقاطعات الإدارية الإسلامية وخلال فترات وعهود الكيانات السياسية التي مرت بها، قد عرفت حضورا مميزا للجماعات السنية بداية بحضور أموي مثلا لسلطة الفقهية لمذهب اهل السنة والجماعة، ورغم حضوره في بلاد الزاب الا ان تغلغل الجماعات الاباضية كان قويا خاصة في ارياف بلاد الزاب وبعدها استطاع المذهب المالكي بسط قوته وهيمنته على كل بلاد الزاب بفضل تلامذة الامام مالك ثم الاستحواذ على القضاء مما سهل عليهم التحكم في السلطة الفقهية.
- ✓ أثرت التغيرات الأساسية والمذهبية بشكل كبير على الحياة الثقافية في بلاد الزاب، مما أدى الى انتقال اغلب علماء المنطقة في بلاد المشرق والاندلس.

الملاحق

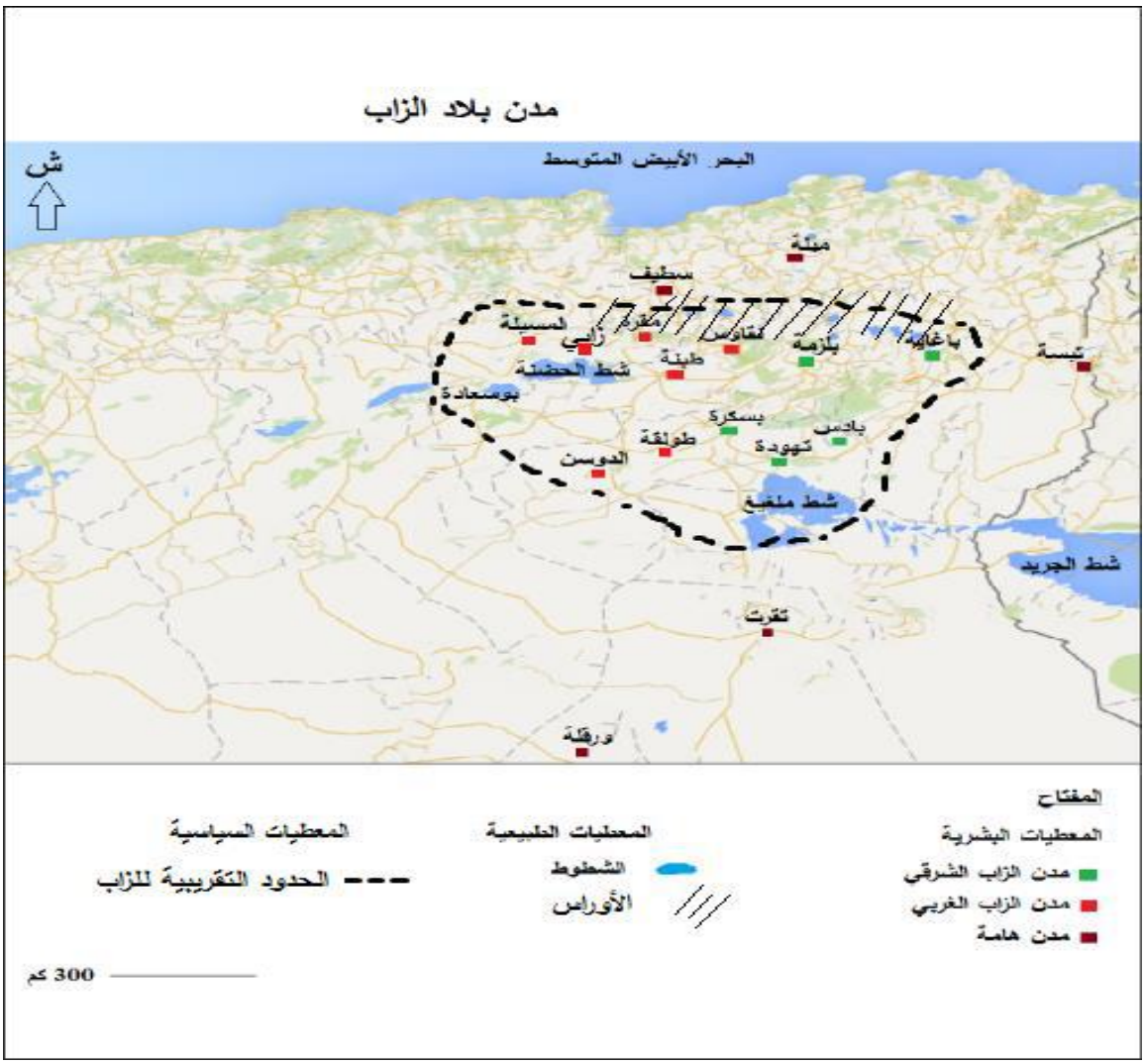

الملحق رقم (01): خريطة توضح تقسيم مدن الزاب [1]

[1] - علي الهطاي: المرجع السابق ، ص28.

الملحق رقم(02): خريطة بلاد الزاب خلال عصر الولاة.[1]

[1]– على هطاي: المرجع السابق ، ص68.

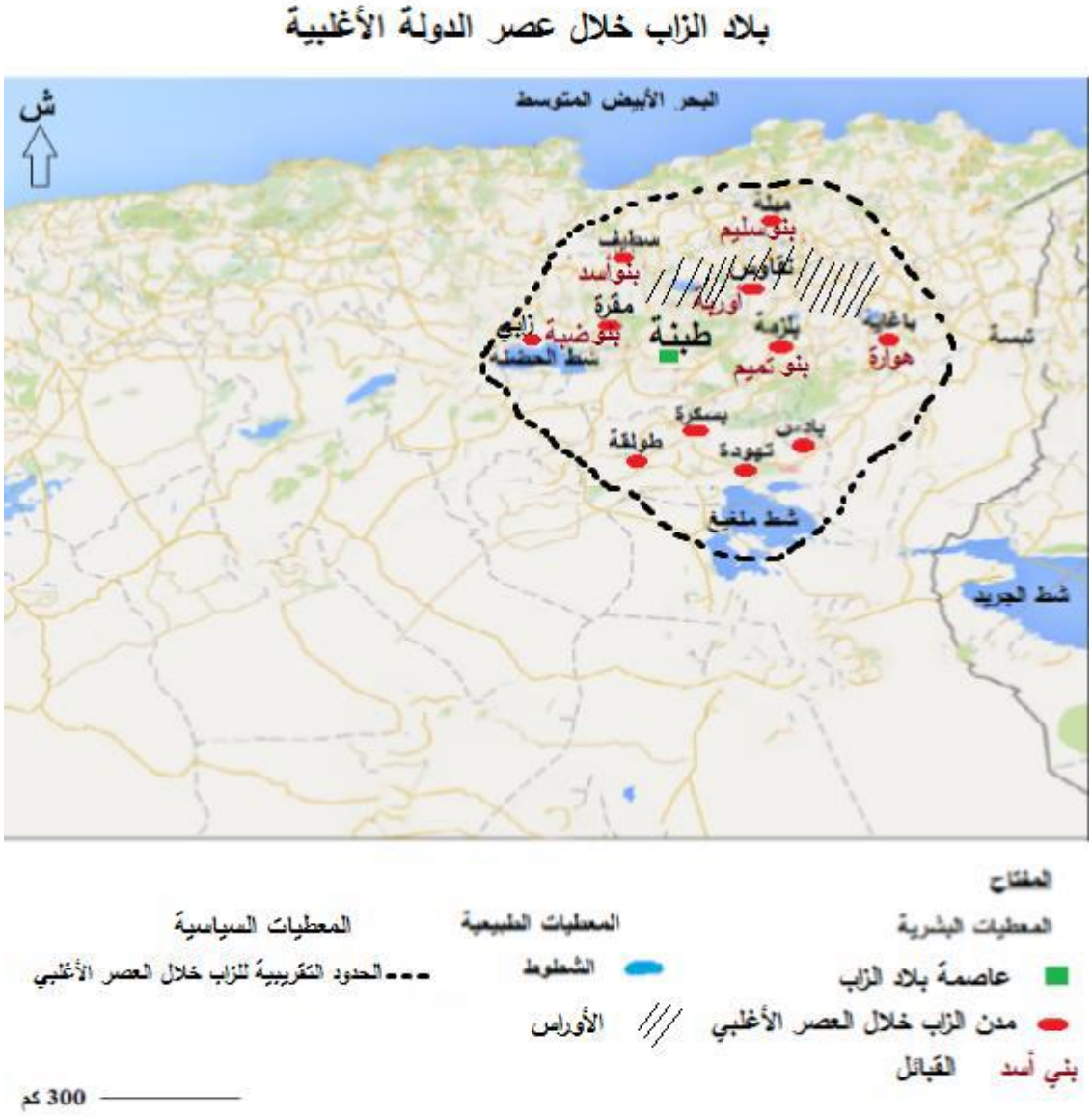

الملحق رقم 3: خريطة بلاد الزاب في عهد اللأغلبي [1].

[1] - على الهطاي: المرجع السابق ، ص77.

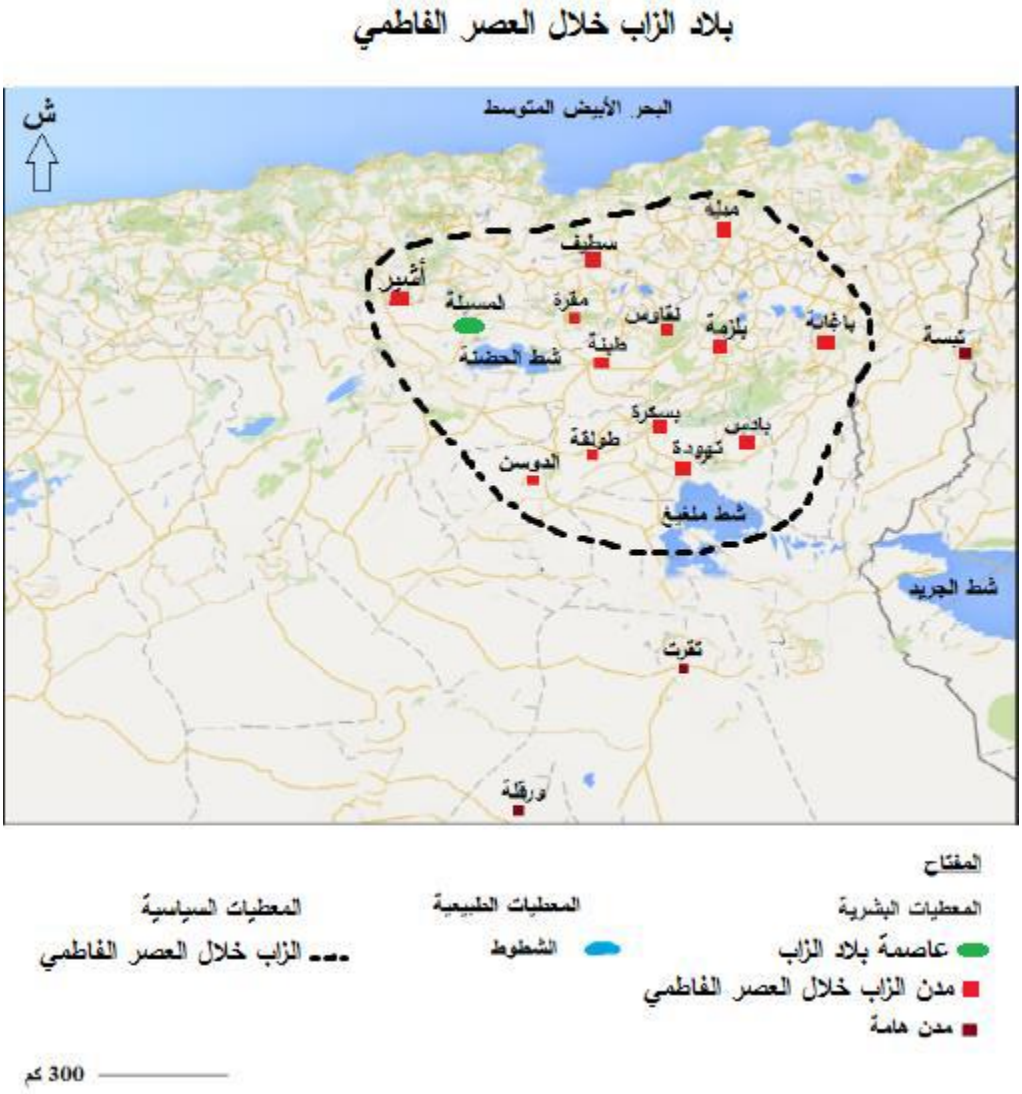

الملحق رقم 4: خريطة بلاد الزاب خلال العهد الفاطمي[1].

[1] - على الهطاي: المرجع السابق، ص86.

قائـــمة

المـصادر والمـــراجع

أولا: قائمة المصادر

1. ابن المنظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله على لكبير واخرون، 1 ، ج14،، د.ط، دار المعارف، القاهرة_ مصر، د.ت.
2. ابن الأثير الجزري (ت630ه): **الكامل في التاريخ**، تح :أبي الفداء عبدالله القاضي، ط1 ، مج 3، مج 8 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1407ه/1987م.
3. ابن الاثير عز الدين الجزري: **اللباب في تهذيب الانساب**، ج2، د ط، مكتبة المثنى، بغداد–العراق، د ت.
4. ابن حوقل أبو القاسم:**صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت لبنان، 1996م.
5. ابن خلدون ابو زيد ولي الدين عبد الرحمان: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الاكبر** ،مر: سهيل زكار ،ج4 ،ج6 ، ج7،دار الفكر لطباعة، بيروت ،2002.
6. ابن عذاري المراكشي : **البيان المغرب في ا اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**،(د.ط)، (د.د)، (د.ت).
7. ابن عذاري : **البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب** ،تح:بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ،دار الغرب الاسلامي ،مج 1، ط1،تونس،2013.
8. أبو قاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، دار صادر افست ليدن، بيروت–لبنان، د.ط، 1889.
9. الادريسي محمد: **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، ج1،عالم الكتب، لبنان–بيروت، د.ط، 1990م.
10. البلاذري ابي العباس أحمد بن يحي بن جابر: **فتوح البلدان**، تح:عبد الله أنيس الطباع،(د.ط)، مؤسسة المعارف، بيروت – لبنان، (د.ت).

11. البكري ابي عبيد: **المسالك والممالك**، تح: ادريان فان ليوفت واندري فيري، ج 2،دار الغرب الإسلامي، د.ط، 1992.

12. الحميري محمد عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: احسان عباس، ج1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت_ لبنان،1984.

13. الحموي شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت: **معجم البلدان** ،ج 1، ج3 ، ج4، ج5،،دار صادر، لبنان_ بيروت، (د.ط)، 1397ه/1977م.

14. الدر جيني أحمد بن سعيد (ت670ه): **طبقات المشائخ بالمغرب** ،تح :إبراهيم طلاي، ج1،(د.ط)، (د .د)، (د. س).

15. الذهبي شمس الدين : **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد معاوية بن أبي سفيان، حوادث ووفيات (41ه-60ه)**، تح :عمر عبد السلام تدمري ، ط1،دارا لكتاب العربي، بيروت، 1409ه/1989م.

16. (ــــــــــــ، ــــــــ): **سير اعلام النبلاء**، ج3، ج4، ط1، تح :شعيب الارناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

17. الزبيدي محمد مرتضى الحسني: **تاج العروس من جوهر القاموس**، تح: التوزي وآخرون، ج3، ط2، منشورات المجلس الوطني لثقافة والفنون والادب، الكويت، 1395ه/1975م.

18. الشنتيري أبو حسن علي بن بسام: **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة**، الدر العربية للكتاب، تح، احسان عباس ج1، د ط، تونس، 1981.

19. الشيرازي ابي إسحاق على: **طبقات الفقهاء**، مطبعة بغداد، د ط، بغداد-العراق، 1356ه.

20. الصنهاجي عبد الله محمد على بن حماد : ..... تح: حلول احمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

21. القاضي العياض: **تراجم اغلبية**، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د ط، تونس، 1964.

22. القاضي النعمان (363هـ): **المجالس والمسايرات**، تح :إبراهيم الفقي وآخرون ،دار المنتظر، ط1،بيروت _لبنان، ، 1996.

23. القيرواني الرقيق: **تاريخ افريقية والمغرب**، تح : محمد زينهم محمد،(د.ط)، (د.د)، (د.ت).

24. النميري بن الحاج: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة وبلاد الزاب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1990.

25. المالكي أبو بكر: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهدهم، ومناسكهم وسير من اخبارهم واوصافهم**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ج2،ط2، بيروت–لبنان، 1414هـ/1994م.

26. المقدسي محمد بن احمد: **أحسن التقسيم في معارف الإقليم**، ط3، مكتبة مدبولى، القاهرة_ مصر، 1411هـ/1991م.

27. اليعقوبي إسحاق ابن جعفر: **البلدان**، دار الكتب العلمية، وح: محمد الامين ضناوي، لبنان–بيروت، د.ط، د.ت.

28. بن حماد ابي عبد الله محمد بن علي: **أخبارملوك بني عبيد وسيرتهم** ،تح :التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ،دار الصحوة ،القاهرة.

29. بن خياط خليفة: **تاريخ خليفة بن خياط**، تح :أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة،(د.ت)

30. فيروز آبادي محمد بن يعقوب بن: **القاموس المحيط**، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، ج1، د.ط، ،دار الحديث، مصر، 1429هـ/2008م.

31. مجهول: **تجاوزات الولاة في بلاد المغرب**،،(د.ط)، (د.د)، (د.ت).

ثانيا: قائمة المراجع

1. ابن الصغير : **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر، ابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، (د.ط)، (د.ت).
2. الدراجي ابوزياني: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها واعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1،د ط، 2007م.
3. الزياني الصادق: **جغرافية العمران ببلاد الزاب من خلال رحلة فيض العباب للنيميري**، (د .د) ، (د . ط) ، (د . س).
4. الطمار محمد : **تاريخ الأدب الجزائري** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د . س).
5. (ــــــــــــ، ــــــــ): **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة** ،تق:عبد الجليل مرتاض ، (د. ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د .د) ، (د . س).
6. المناوي محمد حمد : **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي** ،مصر ،(د.ط)،(د.ت).
7. الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، تق:محمد الميلي ، ج2، (د .ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د . س).
8. بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط2،، الجزائر، د ت.
9. جعيط هشام: **تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ /السابع والثامن م**، ط1،دار الطليعة، بيروت، 2004م

10. جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس هجري**، ديوان المطبوعات الجامعية د ط، ، الجزائر ،د ت.

11. دعفوس راضي: **عصر القيروان من بداية الانتشار العربي الإسلامي بأفريقية إلى نهاية الدولة الأغلبية**، مطبعة سنباكث، تونس، 2008م.

12. سعد زغلول عبد الحميد : **تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة و الرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين**، المعارف بالإسكندرية ، ج 2 ،د.ط ،د.ت.

13. لقبال موسى : **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس هجري (11م)** د.ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1979.

14. مؤنس حسين: **فتح العرب للمغرب** ، (د.ط) ، مكتبة الثقافة الدينية ، د س.

15. (ــــــــــــ، ــــــــ): **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ،دار الرشاد ، ط1،القاهرة ، 1997.

16. (ــــــــــــ، ــــــــ): **المساجد**، دار عام المعرفة، الكويت، يناير 1981.

17. محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ**، دار الثقافة ، ط2،، الدار البيضاء–المغرب، 1406هـ/1985.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. شهبي عبد العزيز: **مساجد اثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ،** (رسالة لنيل شهادة دكتوراه، الحلقة الثاني، الأثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر ،ص1985. (غير منشورة)
2. غرايسة عمار: **التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، اورجلان) من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن8هـ/14م،** (رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر،2019/2018م). (غير منشورة)
3. بن عربي مصطفى: **مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن 4هـ الى سقوط دولة الموحدين 668هـ /1279،** (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،تخصص تاريخ الحضاري للمغرب الاوسط ، قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ،2017/2016). (غير منشورة)
4. على الهطاي: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى منتصف القرن 5هـ/11م،** (رسالة ماجستير، جامعة منوبة، تونس،2016/2015م). (غير منشورة).
5. مديازة صورية: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى غاية انتقال الفاطميين الى مصر(21-362هـ/626-972م)،** (رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، 2010/2009م). (غير منشورة)

رابعا: المقالات

1. الزياني صادق: " **حضور الجماعات السنية ببلاد الزاب من العهد الأموي وحتى القرن الهجري الخامس المذهب المالكي نموذجا**" ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ع 9، جامعة ثليجي ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، الأغواط ، 2017.

2. الهطاي على: "**الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح الى نصف القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي**"، مجلة المواقف للبحوث والدارسات في المجتمع والتاريخ، كلية الادب والفنون والانسانيات، منوبة–تونس، ع12، ديسمبر 2017 .
3. الطيب بو سعد: " **دور علماء طبنة في العصور الوسطى**" ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع3، غرداية–الجزائر، 2008.
4. جعيل أسامة الطيب: " **حواضر إقليم الزاب الكبرى في العصر الحديث من خلال كتب الجغرافيا البلدانية** ، مجلة مدارات تاريخية، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ع 1، مج 1، مارس 2019.
5. هدوش صلاح الدين: " **المدينة ببلاد الزاب من خلال مصادر عربية ممن القرن 5هـ/11م الى القرن 8هـ/14م**" ، ع 14، مجلة العلوم والانسان، جامعة باتنة، الجزائر، مارس 2015.

فهرس
الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1
الفصل التمهيدي : الدراسة الجغرافية واللغوية	
المبحث الأوّل: المدلول الجغرافي	08
المبحث الثاني: المدلول اللغوي	12
الفصل الأول : الواقع السياسي لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول الهلاليين	
المبحث الأول :الفتح الإسلامي لبلاد الزاب	16
المبحث الثاني :بلاد الزاب من عصر الولاة إلى عهد الأغالبة	
أولا : عصر الولاة	19
ثانيا : عهد الدولة الأغلبية	22
المبحث الثالث :بلاد الزاب من عهد الدولة الفاطمية إلى غاية دخول الهلاليين	
أولا : عهد الدولة الفاطمية	23
ثانيا : الهجرة الهلالية	32
الفصل الثاني: الحياة الإجتماعية لبلاد الزاب	
المبحث الأول: التركيبة البشرية	36
المبحث الثاني: طبقات المجتمع	41
المبحث الثالث: العادات والتقاليد	45
الفصل الثالث : الحياة الثقافية والواقع الحضري في بلاد الزاب	

المبحث الأول : المعالم العمرانية.	50
المبحث الثاني : الحضور المذهبي	53
المبحث الثالث: أبرز العلماء	56
أ. علماء طبنة خلال العهد الاغلبي	57
ب. العهدين الفاطمي والحمادي(296-547هـ/909-1152م)	58
الخاتمة	61
الملاحق	64
قائمة المصادر والمراجع	69
الفهرس الموضوعات	78

ملخص:

جاءت هذه الدراسة كمحاولة لرسم صورة واضح لشكل الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن 5ه/11م،، وذلك من خلال تحديد المجال الجغرافي لبلاد الزاب، ثم وصف للحالة السياسية للمنطقة وما عرفته من تحولات واضطرابات، اثرت في الحياة الاجتماعية خاصة مع دخول العرب الفاتحين و القبائل الهلالية، لنركز اجتماعيا في وصف التركيب السكاني للمنطقة والعادات والتقاليد التي نتجت عن هذه التحولات، كما سلطة هذه الدراسة الضوء على الواقع الحضري للمنطقة من خلال وصف أنواع واشكال العمارة بها والحياة الثقافية من خلال الجانبين المذهبي والعلمي.

ومن اهم نتائج هذه الدراسة انه تأكد على ان إقليم الزاب يعد اهم الأقاليم في بلاد المغرب فضل موقعه الجغرافي وما يتميز به من تركيبة اجتماعية وهوية ثقافية مختلفة، تشكت نتيجة لتحولات السياسية الكبرى التي عرفتها المنطقة خلال الخمس قرون الاولى من الفتح.

الكلمات المفتاحية: الزاب، الحياة الاجتماعية، الثقافية، الواقع الحضري.

Resume :

The purpose of this research is to depict the social and cultural life in the Zap valleys from the Islamic invasion to the end of the fifth century (AH/ 11AD). By first defining the geographical scope of the Zap countries, and then describing the region's political situation, as well as the changes and disturbances that have occurred. Also, it has impacted social life, particularly with the invasion of conquering Arabs and Halili tribes, so that we can focus socially on identifying the region's population structure as well as the customs and traditions that have emerged from these transformations. This study also aims to highlight the region's urban reality by defining its architectural features and forms, including its cultural life, from a doctrinal and scientific \perspective.

One of the most essential findings of this study was that the Parties' territory is the most important in the Moroccan country, owing to its geographical location and its diversified sociological composition and cultural identity.

Key words: the Zap, cultural life, social, urban reality.